تشيلا

مجموعة قصصية

تأليف

د. نهلة الحوراني

obeikandl.com

طبعة ٢٠١٧

الحوراني، نهلة.

تشيلا : مجموعة قصصية/ نهلة الحوراني – .- الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

٢٤٠ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٢ ٤٩٥ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة.

أ - العنوان

٨١٣,٠١

obeikandl.com

تشيلا

مجموعة قصصية

تأليف

د. نهلة الحوراني

obeikandl.com

رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى
عضو مجلس الإدارة المنتدب
نوران المصرى
رقم الإيداع
٢٠١٦/٢٦٣١٤
الترقيم الدولى
٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٤٩٥-٢
الطبعة الاولى
طبعة ٢٠١٧

الكتاب : تشيلا

المؤلف : د. نهلة الحوراني

الغلاف : أحمد الصباغ

الناشر: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكـــس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

obeikandi.com

في حياة كل منا أيقونة تُحركه. تجعل من مستقبله مجرد جُرم يدور في فلك فكرة. هذه الأيقونة تشكل طموحًا من نوع خاص، وكيف لا يتصدر كل أشكال الطموح الحب الأول، لاسيما لو كان بريئًا بما تحمله الطفولة من بياض شاهق. يرافقك هذا الحب في كل مراحل حياتك، ولا تكتشف أنه حب حقيقي إلا حين تنضج وتتأكد أنه يحول بينك وبين أن تقع في الحب. يُفسد كل قصص الحب التي تريد أن تعمرها وتؤوي ذاتك داخلها. ويقف كالنجمة في السماء يراقبك ويتدخل بكل أشكال التدخل في حياتك.

تدور الفكرة الرئيسية لهذه المجموعة القصصية باختصار حول ما سبق، الأيقونة والطموح في حياة كل منا. لذا كانت قصتها الرئيسية (تشيلا) وهو اسم مَجَرِي لفتاة يعني (النجمة). القصة مأخوذة من قصة حب حقيقية لصديق لا ينساها، وهو دائمًا ما يكرر بشغف على لسان (تشيلا): «أنتِ نَجْمَتي في السماء تَدُلُّني وعلى الأرض تحبني»عبارة تلخص العلاقة بين أبطال تلك القصص التي بين يديكم وبين أفكار سيطرت على حياتهم وحرَّكتها... نَشَرت بالفعل بعض من هذه القصص في بعض الدوريات المصرية.

#نهلة_الحوراني

٢٨ أغسطس ٢٠١٦م

obeikandl.com

مذكرات رجل ضد القانون
(١)

يوم الأربعاء الرابع من أبريل ٢٠٠٨م

مدام فينوس

أنا شوقي عمران...عندما تخرجت من كلية الحقوق كان الجميع يتوقع أن أُصبح قَاضِي مميز لأنني مع الأسف شخص يُجيد إتقان كل عمل يُوكَّل له والأهم أنني أعمل بذكاء...هم لا يعلمون أن هذا الذكاء يجعل من أصحابه أشخاصًا مزاجيين بامتياز...يرحل الجميع وبقى أنت وذكاؤك تناقشان تفاصيل اليوم وتمارسان الحب والغضب في نهاية كل عمل...

عندما قررت أن أكتب مذكراتي لم أجد خيرًا من اليوم الذي قدمت فيه استقالتي من سلك القضاء ليكون البداية...لم أجد خيرًا من اليوم الذي أصبحت فيه حرًّا...

ليس عيبًا أن أخضع لسلطان جمال امرأة...بل العيب أن أكون أضعف من الاعتراف بذلك... هي كانت صاروخًا أرضيًّا

obeikandl.com

جويًّا...جناية قتل زوجها بدائرة روض الفرج...الملف الذي قدَّمَته النيابة لم يُشر لها سوى بأقوال متناثرة عن تلقيها اتصالات تهديد تليفونية استمرت لشهر اختفى فيه الزوج؛ حتى عُثر عليه متأثرًا بسُمٍّ طويل المدى في تأثيره في شقة بالمعمورة ملْك رجل باسم وهمي...عندما نادَى عليها الحاجب كانت ترتدي ثوبًا أسودًا قصيرًا يُظهر ليونة ركبتيها الثلجيتين...وجهها الجميل كان خاليًا تمامًا من مساحيق التجميل...لكنني أعلم بخبرتي أن هذه المرأة ليست حزينة...طردتها من قاعة المحكمة بحجة أن ملابسها لا تحترم هيبة الحرم القضائي...خرجت باكية واستجَبْتُ لطلب المحامي في تأجيل الجلسة...

أخبرتُ مستشاري الذي يجلس عن يميني (إيهاب خالد) أنها قضيتي الأخيرة...لم يعقب...وبينما كان يُوصِّلني بسيارته شفقة عليَّ من غياب عزيزتي بعد إصابتها وهي لم تتحرك بالأمس أمام بيتي في المعادي...قال:

- إلى متى تظل متأثرًا بهنّ يا سيدي؟ (هتروح في داهية يا ابني)...
- وهل تظن أن زوجتي لا تعرف! الأدهى أنني أظنها تَسعدُ حين أرجع إليها بعد لقاء مع إحداهنّ لأنها تعلم أنني لن

أتشاجر أبدًا...هذه القضية استقالتي المتنكرة...أنت تعلم أنها مشتركة في قتل الرجل وأنني لن أتمكن من إرسالها للعقوبة...

- هناك ألف طريقة وطريقة لهجر القضية...وليس لهجر صاحبتها...
- ليست المرة الأولى...لم أُخلَق كي يسيطر عليَّ شيء... وهذه القواعد بدأت تمنع الحياة من مغازلتي...
- امرأة! من أجل امرأة! لا أصدق...
- بل من أجل رجل يُسَمى القانون...لا يمكنني أن أتحدث باسمه أكثر...رجل يتصارع مع الحرية كل يوم ألف مرة... وليس ضروريًّا أن هذه الحرية كانت بالأمس امرأة أو ستكون في الغد امرأة...
- أجادلك وأعلم أنك اخترت الصواب الذي لا يليق سوى بشوقي عمران فقط...

الوحيدة التي استشرتها كانت ابنتي «هايدي» طالبة الثانوية العامة التي حاولَت كثيرًا أن تقنعني بالعدول عن الفكرة حتى أنها قالت لي بصراحة:(هناك فارق كبير بين هايدي شوقي

ابنة القاضي شوقي عمران وتلك ابنة المحامي الذي سيفقد منصته)...لكنني كنت أستشيرها حتى لا يأتي يوم وتنعتني فيه بالتجاهل...أنا ديكتاتور كثير النقاش...ولطالما أخبرني جَدِّي أن النقاش يجعلهم يظنونك قريبًا منهم حتى لو أتيت لتعلن القرار بلا صيغة الأمر فقط...رحمه الله...

في اليوم التالي بعد أن قدمت الاستقالة وقفت مع «عم إسماعيل» لأُعطِيَه بعض التعليمات كي يصل بمتعلقاتي لبيتي سليمة...ولاسيما تماثيلي الفرعونية الثمينة...سمعت زميلين في آخر الرواق:

- وماذا تظنه فاعلاً؟
- سيعمل محاميًا للأحوال الشخصية طبعًا...وهل يصلح شوقي لغير ذلك؟

ورغم أنهما ضحكا بقوة بعد ذلك...ورغم أنهما صافحاني في وفاء وحزن مصطنعين؛ إلا أنهما أثبتا أن كلام الناس لا يُقرر لك حياتك لكنه قد يُشير لك نحو البداية الصحيحة لطريقك... بحلول الواحدة صباحًا كنت أدخن الشيشة مع صديقين يكتبان الشعر(سأحدثكم عنهما لاحقًا)... اتصلت بي حسناء القضية:

- بلغني أنك استقلت بعد أن طردتني من قاعة المحكمة...
- نعم ولكن كي أغلق الخط الآن...والسبب الوحيد أنني لا أنظر لامرأة استهلكتها قبلاً وإن كان في غيابها...

أغلقت الخط وانساب صوت «شاكر»

دعوتني للفراغ.

فنبتت للفراغ كَفٌّ.

ولم أسقط.

أنا لم أُمُت.

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

(٢)
يوم الأحد ٢٤ أبريل ٢٠٠٨م
قِطَّة على الطريق

ما يقولون (سرقتني السكينة) حتى قبلوا استقالتي رسميًّا يوم ٢٤ أبريل...فجأة حمَلْتُ لقب (القاضي السابق) وصار عليَّ أن أفكر على نحو مختلف...واجهتني الحرية التي سعيت لها مكتملة والغريب أنني خِفتُ مما سعيت إليه عُمرًا حين ظننت أنني امتلكته...طوال عُمري حاربت الخضوع لأي قانون...واليوم حين استجابت لي النقطة وأنهت كل سُطوري السابقة وجَدتَني لا أملك أية رغبة في فعل أي شيء...بل وحدَثَت لي انتكاسة غريبة...

احتفلت يوم قبول استقالتي بعيد ميلادي الواحد والخمسين... لا أعرف كيف أصف حالتي الآن لكنها بلا شك حالة تشبه تلك التي انتابتني حين شعرت أنني رجل للمرة الأولى...عيد ميلادي الثالث عشر وأول سيجارة أهداها لي جَدِّي سِرًّا...كان هو الآخر يؤمن أن السجائر تجعل الرجل رجلاً رغم أنه كان إنسانا حكيما...أظنني ورثت هذا الغباء...أنا أدخن بشراهة لم أعتدها هذه الأيام وأترقب كل كلمة جميلة من كل امرأة حتى لو كانت

مجاملة من صديقة ابنتي...هذا الصباح قالت لي «فادية» زوجة البواب ذات الستين عامًا: (إيه الحلاوة دي يا بيه؟...كأنك ابن عشرين عامًا)...وشعرت بسعادة وثقة غريبين...

تتزايد هذه المشاعر والتصرفات منذ أنهيت علاقتي بعالمي القديم أي منذ عشرين يومًا على نحو أخافني وجعلني أكره الاقتراب من زوجتي..الغريب أن هذه المرأة تتعامل معي كما يتعامل سكان قرية مع بركان موسمي الثورة...يبتعدون عنه حين يثور ثم يعودون كي يجنون الثروات من تربة حِمَمِه الغنية...لذا لم تُعَقِّب بكلمة ولا فعل...أما ابنتي فكانت منشغلة بدراستها لدرجة أنها لم تكن تلاحظ وجودي صباحًا قبل أن تذهب لمدرستها...فقد اعتادت أنني أرحل مبكرًا أو أنام لوقت متأخر حين كنت أعمل... تنظر لمرآة الكونسول المقابل لباب الشقة وتتفقد زينتها وهي تثرثر مع «ميراى» صديقتها في الموبايل وتزدرد بعض البسكويت على عجل ثم ترحل لمدرستها...أنا وحدي...

في مساء هذا اليوم اعتذرت عن لقاء صديقيَّ الشاعرين وبقية الشلة في المقهى...ليس بي رغبة لفعل شيء قديم...قررت أن أصطحب سيارتي في نزهة...ولأن الطريق السريع عادة أكثر اتساعًا فقد أغراني بأن أسلكه...كان أجمل وأكثر نظافة وأقل اتساعًا من كل يوم...بعد حوالي الساعة مرَّت بي لوحة لقرية

تُسمى (المشانيق)...تعجبْتُ للاسم كثيرًا ووجدتَني دون وعي في قلب الطريق الرئيسي الوحيد داخل القرية...شعرت بسعادة اكتشاف اللعبة الأولى...لهذه القرية طراز جميل في تصميم الأبواب الأمامية لبيوتها في شكل مربعات متداخلة...فيما عدا الأبواب كانت المباني عشوائية الألوان والأشكال في تناثرها... فجأة رأيت شابة تركض تحمل في يدها حقيبة سوداء «سامسونايت صغيرة» وتستغيث «الحقوني» فلحقتها...بعد أن استقلت السيارة إلى جواري أدركتُ أن تلك الفتاة وصوت أنفاسها المتلاحقة أعمياني عما يزيد عن عشرين رجلاً يحاولان اللحاق بها ثم بيَّ لمعاقبتنا..

كانت مطاردة أحادية الطرف استطعت مع الليل وخلو الطرقات أن أكون في أربع دقائق على الطريق السريع مرة أخرى ومعي صَيْد شعرت أنه ثمين جدًّا لدرجة أنني كنت أتصرف برشاقة شاب ثلاثيني في معاملتها...قَلَّت سرعة تنفسها واختفى صوت الأنفاس المتلاحقة الذي كان يثيرني.. فجأة قالت:

- الحمد لله ...على فكرة أنت رجل شهم...

- أتمنَّى ألا أكون متورطًا في مصيبة...

شعرت بالإهانة...فنظرت إليَّ بقرف ثم أشاحت بوجهها نحو النافذة المفتوحة تطلب المزيد من الهواء... أشعلتُ سيجارة...

عرضت عليها واحدة اعتذرت بعصبية «أقلعت عن التدخين من أسبوعين يا حضرة» ثم قالت بحدة:

- على فكرة طمئن نفسك...أنا طبيبة محترمة...ولن يلحق بك أحد من هؤلاء المتخلفين...

- بما أنني صرت شريكًا في جريمة لا أعرفها ومن أجلك فقط...هل يمكن أن أعرف متى أُسلِّم نفسي؟أنا مواطن شريف ولا سوابق لي والله العظيم...

- تقصد أنني وجه يبدو عليه السوابق! عمومًا معك حق... التقطتَ فتاة تركض وقرية تلحق بها...أنا الدكتورة «أسرار» طبيبة الوحدة الصحية لهذه القرية...وُلِدَت على يدي قبل ساعة الفتاة رقم ٢٧ في أسبوع...ما ذنبي إن كان كل رجال هذه القرية أنجبوا فتيات حين استدعوني! ظنوا أنني السبب وقرروا معاقبتي بعلقة على ما يبدو...

- هذا النوع من البشر طيب القلب لذا يخضعون لأية كلمة يسمعونها دون أن يفكروا فيها... حمدًا لله على سلامتك... صدقيني أنا سعيد لأنني كنت موجودًا هنا بالصدفة...أنا (شوقي عمران) كنت قاضيًا حتى أسبوعين مضيا...

- تقاعُد؟

- اللّه يسامحك...هل أبدو كبيرًا لهذا الحد؟

- ضحكت ضحكة تخيلتها رنين صوت القمر...فقلت بسعادة:

- اللّه...يكفيني هذه الضحكة حتى أنقذك كل يوم...

- أنا طبيبة محترمة...لكنك ستبدو أصغر سنًّا لو ربيت شاربك...

- أتعلمين متى رأيت فتاة اسمها «أسرار» أول مرة ؟ في رواية لمحمد عبد الحليم عبد اللّه اسمها (الجنة العذراء)...عبد الحليم معه حق يا «أسرار»...أين أوصلك؟

- القاهرة...أظنه طريقك...

- ولو لم يكن طريقي لجعلته طريقي...

- تذكر أنا طبيبة محترمة...وأنت رجل شهم...لن يتغير الأمر عن ذلك...

«أسرار» طبيبة في السابع والثلاثين، من أسرة تركت تلك القرية بعد ميلادها...حين حصلت على بكالوريوس الطب قررت أن تقدم خدمة لمكان تظنه أكثر الأماكن التي يمكنها أن تصل لها وتساعدها...هي الطبيبة الوحيدة في هذه القرية وأظنها الناجية الوحيدة من هذه القرية لكنني نجوت معها أيضًا...وحتى لو كانت

أسـرار جِنيِّـة الليـل فأنـا أساسًـا أشـك في طبيعتـي الإنسـانية...
وتذكـرتُ شـاكر مـن جديـد:

على شفتيَّ تنهيدتها.

أُولَدُ مرتين.

إنسيًّا يحبو لعناق.

وعِفريتًا يُعمِّد جناحيه.

أُولَدُ عاشقًا حرًّا.

●●●

obeikandl.com

تُرَى كيف سأبدو بعد تربية شاربي! (٣)

يوم الأحد ٣٠ أبريل ٢٠٠٨م

سلام ما قبل الحرب

مرَّ أسبوع على لقائي بها...أبدو قبيحًا جدًّا في المرآة هذا الصباح...شبح شارب يلوث ملامحي...لون رمادي يسكن تحت أنفي...لكنني سأحظى بشارب جذَّاب للمرة الأولى في حياتي... وكأنني أُصَمِّم حياتي بخطوط ورسومات ضد كل التيارات التي خبرتها سابقًا...أحاول جاهدًا تجاهل السؤال: (هل أستطيع تغيير كل الخيوط مرة واحدة؟) لكنني كنت أشعر بتوازن نفسي غريب للمرة الأولى أيضًا في حياتي...كنت هادئًا لا أنتظر شيء ولا أكره شيء...في حالة هدنة مع العالم...سلام مؤقت قبل توقيع مذكرة حرب لا يكرهها أحد...

قررت أن أقضيَ الليلة مع صديقيَّ القديمين (شاكر مرتضى وفوَّاز كرم) بعد انقطاع عن السهر لمدة أسبوع كامل...«شاكر» شاعر جميل وطبيب أطفال ناجح...يَصغُرني بعامين...يعتَبِر أن

obeikandl.com

أهم ما حققه في حياته هو زواجه من جارته وزميلة دراسته «ريم» رغم أنهما لم يرزقا بأبناء...هو شاعري حد البكاء بسهولة كلما تركناه وحيدًا مع ضوء القمر...

عندما ذهبت الليلة وجدت شاكر وحيدًا في مقهى سعفان... المقهى مكان شبه ناءٍ يقع في أول الطريق الزراعي...اندهشتُ حين زرت هذا المكان للمرة الأولى منذ خمس سنوات لأنني وجدته مرخصًا...ومازلت أذكر جملة «سعفان» صاحب المكان والقهوجي الوحيد: (وهل تعتقد أنك القاضي الوحيد الذي يأتي هنا؟) هذا المكان لهواة الاختباء...هو مخبأ مثالي من كل ما تعرفه في العالم...كان شاكر يدخن الشيشة واستقبلتني رائحة معسل الكرز على البعد...قلت وأنا أقبل عليه:

- قلت لك مائة مرة أن الكرز شيشة (حريمي)...لا أعرف ما يعجبك فيه...

- مازلتَ حيًّا يا (أبو شوقي)...أطلت الغياب...

- أين المجرم الثاني؟

- محبوس في قضية تصحيح...نتيجة رابعة تجارة محجوبة بسبب مادته...

كان شاكر هادئًا كعادته باسم الوجه معظم الوقت...طلبت قهوتي السادة وشيشة (أص صعيدي)...وعلا الدخان فشعرت بأن شهرًا من عمري لم يمرّ وأنني سأغادر باكرًا حتى ألحق قضاياي في الرول غدًا باكرًا ...شعرتُ بمغص فاجأني في الحضور وفاجأني في الرحيل... زلزال معدة صغير...قال شاكر مذكِّرًا إياي بالواقع:

- تبدو بخير لكنك لا تتصرف بخير...لا يتغير أحد ويغير كل قوانين حياته بسرعة ويكون بخير...هل اتصلت بأسرار؟
- الرجل الذي يتصل بامرأة جديدة سريعًا يستعجل النطق بكلمة النهاية سريعًا...
- وما أدراك أنها ستقبل أن تتحدث معك؟ لا تبدو من هذا النوع...
- ولا أنا من النوع الذي يحب (هذا النوع)...ستقبل ولا تشك في (أبو شوقي) لأن الأمر مختلف هذه المرة...
- مازلت أستاذًا...ربنا يتوب عليك...
- وماذا تعرف أنت يا أحاديًّا تجربته؟...سأتصل ولكن بعد أن ينمو شاربي...صرت متسخًا هذه الأيام...
- دعك من كل هذا...كيف أنت يا شوقي هذه الأيام بحق؟

- كل شيء يمر بسلام...أخطط لحياتي بهدوء...بدأت في تجهيز أوراقي كي أكون محامي أحوال شخصية...وعلاقتي بابنتي تزداد قربًا لأنني أملك المزيد من الوقت...لا يقلقني البعد عن زوجتي فهي ليست المرة الأولى...

- هي امرأة طيبة...

- لكنها ليست ذكية...لكن لا يقلقني إلا أمر واحد فقط الآن... حين تتقدم بنا الحياة تذكرنا كل التفاصيل بتفاصيل أخرى سابقة يسمونها (الذكريات)...كل ما يحدث يذكرك بآخر حدث قبلاً... ومع الوقت تكتشف أنك كبرت...وأن الحياة لم تعد تدهشك لذا لم تعد كافية...عليك أن تزهد أو أن تبذل مجهودًا أكبر لتجد الدهشة...لتتمرد على قانون كبير هو: (الاعتياد)...كل الذكريات خائنة حتى لو كانت جميلة...كل الذكريات تمضي ولا تعود...

- أخيرًا سمعتك تقول (خائنة) بصيغة المؤنث...

كانت الليلة هادئة جدًا حتى قاطع هاتف شاكر هدوءنا... هي المرة الأولى التي أصادف فيها حالة أزمة قلبية مفاجئة...بدا مجنونًا تمامًا حين علم أن زوجته في طريقها للمستشفى...أما أنا فاصطحبته في سيارتي لهُنَاك...وقاطع قلقي هاتفي:

- سيادة المستشار...أنا الدكتورة أسرار...

- نعم!

- أرجوك (الحقني).

- ما هو تخصصك؟

- أمراض نساء...لماذا؟

- «ما يضرش» الحقي بي في (مستشفى الدكتور شاكر مرتضى) في مصر الجديدة...وهناك (هألحقك)...هل تستطيعين؟

ومرة أخرى - دون أن تقصد- تجعلني هذه الفتاة أشعر بالاندفاع من أجل حياة أحبها...حياة أريد اقتحامها لم أعرفها من قبل...ورغم أنها تفاجئني بمشكلة كل مرة تظهر فيها إلا أنني أشعر بهدوء وسلام وأنا أتعامل مع حروبها...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

(٤)

يوم الإثنين ١ مايو ٢٠٠٨م

ذات ماضٍ ولد الحاضر

حاولت أن أشعر عبثًا أن كل شيء على ما يرام كما كنت أشعر عادة في أَزَمَاتِي...اعتدت أن أبتسم مهما كانت الكارثة وأبدأ في التفكير بهدوء وكأن الأمر لا يخصني...ولكني لم أستطع... كنت شخصًا جديدًا غير الذي أعرفه...غرق شاكر إلى جواري في صمت مهيب...تَكَوَّر جسده الضئيل في كرسي السيارة وشخصت عيناه الخضراوان في السماء...كان يتمتم بعبارات هامسة لا تصل لأذني واضحة...يدعو الله من أجل الإنسان الوحيد الذي اختصر فيه حياته: (زوجته)...

في المستشفى فارقني ورابط في غرفة العناية المركزة...طلب مني أن أبقى قليلاً حتى يطمئن...فهو لن يتصل بأحد حتى الصباح...هي دائمًا تفعل ذلك حين تمر بأوقات سيئة...أما أنا فنسيتُ أمر «أسرار» تمامًا حتى فوجئت بها تقف أمامي...

قاتل الله (الكعب العالي)...كيف جرؤت أن تأتيني بمثل هذا الطول...صحيح أنني مازلت محافظًا على شَعْري الناعم المصبوغ

بُنيَّا بعناية كاملاً...وصحيح أنني انتصرت على كل محاولات الزمن في تغيير خارطة جسدي الرياضي إلا أنني لم أتمكن أبدًا من الانتصار على قامتي القصيرة التي تؤثر على قوة نظرة عينيَّ السوداوين في بحر وجهي الأسمر...جاءت تُهرول...لم أقف طبعًا...جلست إلى جواري:

- كفى اللّه الشر...أين حالة الولادة؟

- أي ولادة؟

- سألتِني عن تخصصي وأظنك تحتاجني...

- زوجة الدكتور شاكر صديقي المُقرَّب في غرفة العناية المركزة... كيف يمكنني أن (ألحقك)؟

- مخطئة أنا كي تُجرجرني خلفك حتى هنا...من تظنني؟

- الظروف لا تحتمل حدتك أرجوكِ...لا أستطيع مساعدة فتاة لا أراها أمامي...هذا طبعي...

صمتت تحاول ابتلاع إهانة لحقت بها لا أعلمها...هي فتاة مُعتَدَّة بذاتها جدًّا وأنا رجل يحاول التركيز في تقديم المساعدة وسط جلبة من الأحداث تُربكه...كان الأمر أكبر مما أحتمل لذا فضَّلتُ أن أعطل أذنيَّ لكن عينيَّ عملتا جيدًا رأيتها...الدكتورة

عبير حبي الأول وزوجته الأولى...أقبلت في جمالها الأشقر الذي لم ينقص طوال عشرين عامًا...صافحتني وأسرار في هدوء مهيب...قصدت أن تعرفني على ابنها الشاب...(شوقي ابني... أعتقد أنه آن الأوان أن تتعرف به)...

نهضتُ فجأة مغادرًا مستأذنًا الجميع...وأسرار تهرول خلفي: (هل (ستلحقني) أم لا يا حضرة؟)استقللتُ سيارتي وهي معي...لم أشعر بها إلا بعد مرور دقائق...قلتُ وأنا أنفث الزفير الأول من تَبْغِي المستورد:

- إنه ابني يُشبهني كثيرًا...ماذا يجب أن أفعل كي أتأكد؟

- هي زوجتك؟

- ليوم واحد...لا تسيئي فهمي...أنا رجل فاضل...كان الأمر كله رغمًا عني...وإلا لِمَ كنت مرتبكًا كل هذا الارتباك الآن...

- أريد مكانًا أقضي فيه ليلتين...لا يهمني من تكون...

- أنا آخذ بيدك للمرة الثانية دون أن أعرف ما تورطيني به ومع ذلك لا تريدين حتى أن تسمعي فضفضاتي!

- لو أردت الحديث لن يمنعك أحد...

- طموحها الكبير أخافها من غيرتي الشديدة...الآن لم أعد أرى في أي امرأة شيئًا أملكه...ربما خوفًا من ضياعهن مرة أخرى...لكنني اليوم أغار جدًّا وأخاف جدًّا من جديد... تزوجت بسرعة وغادرت بصحبة زوجها للإقامة في الإسكندرية...
- سآتي لك بقرار القصة فقط جِدْ لي مكانًا أقضي فيه ليلتين...
- هل تتاجرين بالمخدرات؟ هاربة من جريمة أخرى؟

- وهل تراني (وش كده)؟

- الكارثة أنني أعرف علامات (وش كده) وهي ليست لديكِ...

- يا باشا...إنَّ غدًا لناظره قريب...غدًّا يظهر كل شيء...

لم تمانع أن تقضي الليلة في شقة والدتي القديمة بالعجوزة... أما شاكر الذي بدأ يطمئن على حال زوجته مع بزوغ الفجر فكان غاضبًا جدًّا من رحيلي المفاجئ حتى أَقلَقَه صوتي الحزين في الهاتف...وصدق شاكر حين كتب:

أنا مولود تبرَّأت منه الساعات.

جرى بين العقارب عُمرًا.

حتى تبنَّاه صباح حين غرة.

سطع على كل عوراته.

ذات ماضٍ ولد الحاضر.

(٥)

يوم الإثنين ٦ مايو ٢٠٠٨

ابن بدرجة صديق

اكتشفتُ اليوم أن علاقتي بزوجتي تزداد سوءًا دون أن يبذل أي منَّا مجهودًا في ذلك...هي تحاول تجنب تغيرات حياتي كما تعودت دائمًا...لكن الأمر يأتي بنتيجة عكسية هذه المرة...فأنا لا أعود إليها بعد لقاء امرأة أخرى فتغض الطرف من أجل الحفاظ على بيتها...حياتي تتغير بالفعل و«سميرة» تمرُّ بجوار التغيير ولا تقحم نفسها فيه...وكان من الطبيعي أن تكون خارج إطار كل الصور...أما هايدي فكنت وإياها سعيدين بالخروج كل يوم مساءً في نزهة بالقرب من النيل...ابنتي لا تُحدثني في مواضيع معينة عن حياتها...لكننا نثرثر في عموميات الحياة... تُشبهني كثيرًا حتى في إبقاء صندوقها الأسود مظلمًا تمامًا لا يعرفه أحد...

الأمر الذي أزعجني رغم أنني كنت أتوقع حدوثه هو «شوقي» الابن...تأكدت من أنه ابني... أوهمتُ «أسرار» أمَّه أن ابنها يعانى مبادئ الأنيميا والحق أن التحليل الوحيد الذي أظهر أنيميا -لكن

في الالتزام- كان تحليل دمى...عرفتُ ذلك بالأمس...أنعم الله عليَّ بنعمة أحبها كثيرًا هي أنني أستوعب الأمور بشكل متأخر قليلاً...تماسكت عند تلقي الخبر...وبعد ساعة واجهتُ السؤال الذي يجب أن أواجهه...(هل من العدل أن يبقى جاهلاً أباه؟) ليس في مصلحتي أبدًا أن تقص عليه والدته تفاصيل ليلة زواج واحدة انتهت بها تعانى من كدمات مضاعفة حول الضلوع في المستشفى...الغريب أنني أقمت كل طقوس ليلة الزفاف ثم ضربتها قرب الفجر لأنها رفضت أن تُخبرني عن تفاصيل علاقتها برجلين أرسلا باقتيّ أزهار...لذا حقًّا لم أعد أريد الشعور بملكية أي شيء...لكن أعتقد أن من حقنا جميعًا أن نتناقش وأن نعرف ما هو الأصلح لـ «شوقي» النتيجة الجميلة لعلاقة قبيحة...

أنهيت نزهتي المسائية مع «هايدي» أخبرتني أنها تخاف من شرودي لأنه يعنى غياب أبيها عنها...لكنني ظللت صامتًا معظم الوقت رغم أنها ضحَّت بجزء من مصروفها واشترت لي «حمص الشام» عندما عدت للبيت اتصلت بالمستشفى وحصلت على رقم هاتف الدكتورة عبير...كانت الساعة حوالي الثامنة مساءً... وكنت مُصرًّا على لقائها بأية طريقة والآن...تفهمت الأمر...بعد نصف ساعة كنت أنا وإياها نشرب القهوة معًا في مقهى صغير بالمعادي...قالت:

- أنا لستُ مُخطئة...كيف تريدني أن أربط نفسي بشخص يدمر من حوله تلقائيًا! هذا ما رأيته منك...

- أعلم أنك لن تُصدقيني لكنني حقًّا لا ألومك ولا أملك الحق في لومك...حتى اليوم أخاف أنا من ذلك الإنسان الذي تتحدثين عنه...أحاول جاهدًا قتله كلما ظهر...لكن هذا ابني وأظنه يملك الحق في معرفة أبيه...منذ علمتُ بالأمر وأنا أشعر بشوق شديد إليه...الأمر يقتلني...

- شوقي في الصف الأخير بكلية الهندسة...شاب جميل يخطط للمزيد من الحياة...وزوجي صاحب شركة مقاولات أعطاني وأعطاه كل ما حلمنا به...تخيل ابنك الآن وهو يعرف أن حياته معنا كانت قائمة على كذبة...

- الأمر يوجعني جدًّا...لا أستطيع الوقوف عاجزًا أمام ابن لا يَفصلني عنه سوى بضعة كيلومترات...أنتِ قاسية...

- أعلم أنك أباه...وأعلم أنني سرقت منك ابنك كل هذه السنوات...ولن أواصل السرقة...كما صادرت قرارك من اثنين وعشرين سنة أعطيك الحق في مصادرة قراري الآن... افعل ما تراه...أثق بأنك تحب ابنك وستختار الصواب...كما أنني تعبت من حمل هذا السرّ...فالأسرار تزداد ثقلاً مع قلة حامليها...

رحلت عبير تاركة كل علامات الاستفهام في سَلَّتِي...شعرت برجفة برد وألم في ذراعي الأيمن أضعف قدرتي على تحريكه... لم أنم ليلتها...ومع بزوغ الفجر أرسلت لها رسالة نصية: (سعيد أنا به لأنه أفضل مني...لكنني أريد ألا يغيب تمامًا) قررتُ أن أكون صديق ابني لا أباه... أؤمن تمامًا أن هذا أفضل لكلينا وأكثر نظافة لعلاقتي به...

لدي شيء جديد أفعله الآن...فتماثيل إله الشرّ الفرعوني (سِت) - التي أهوى جمعها في كل مكان أتواجد فيه - دفعت «أسرار» لعرض خدماتها من أجل افتتاح جاليري في عمارة والدي التي ورثتها عنه في الدقي...قالت بحماسها الملتهب المعتاد: (تشعر بالقطعة كأنك أبوها...لماذا لا تتبنَّى قطعًا أكثر وتبيعها؟ أنت فنان).

كنت على عتبات مرحلة جديدة في حياتي...منكسر وحزين... لا أحب الماضي كله...ومع ذلك بدأت أرى جمال «أسرار» واندهشت من سيل الأفكار اللاَّ بريئة حولها الذي جعلني أنسى كل شيء وأسترسل في عالمي المفضل حيث تتزين لي أنثى وتدعوني للحياة...وكأن الحزن وقود التمرد...وتذكرت شاكر الذي تتماثل زوجته للشفاء:

من طين أنا.

لكنهم أشعلوا النار فيَّ.

لا تشعل النار غير من يهوى.

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

(٦)
يوم الإثنين ٦ يونيو ٢٠١٤
الرجوع إلى القاهرة

حين تصبح شخصًا جديدًا غير الذي تعرفه على نحو مفاجئ لا تحظى بقدرة كبيرة على الاختيار كما تظن بل إنك تشعر بضعف البدايات...عندما تبدأ المشي والكلام والكتابة فإنك تكون ضعيفًا ثم تزداد قوة بعد ذلك...وهذا ما حدث معي...

افتتحت (جاليري هايدي) ومع الوقت صارت شقة والدتي أعلى الجاليري صالونًا لاستقبال جميلاتي...تأثرت بعض الشيء لوفاة زوجة شاكر صديقي لكنني عدت لنشاطي الذي لم يبعدني عنه غرق كل سفن «فواز كرم» في البورصة...كنت مندفعًا فيما أسميته (الحياة الجميلة) لأقصى حد وساعدني في ذلك تمتعي بصحة جيدة فعلاً ومعدة سليمة تشرب وتأكل كل شيء...

لم أكن مُشجِّعًا لأحداث ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م حتى وجدتني أتوسط لخروج وَلَدِي شوقي وهايدي من ذات قسم الشرطة رغم ضعف الداخلية في ذلك الوقت...ودُهِشتُ كثيرًا وأنا أرى الشبه الواضح بين ملامح وجهيهما الصغيرين...كان يجب أن يعلما

بالقصة...تمنيت لو يحدث ما أراه في المسلسلات العربية ويقع الضابط في غرام ابنتي لأنه حقًّا كان إنسانًا جميلاً لكنني علمت أن (الحياة الجميلة) كانت ستبعده...وفي طريقي للخروج معهما تغيرت حياتي مرة أخرى حين هتفتُ باسم مصر في مسيرة معظمها من الشباب...رفعوني على الأعناق وجعلوا يرددون خلفي ما أقول في طاعة وإعجاب...وانتقلت للإقامة في ميدان التحرير لثلاث ليالٍ ويومين... كانت الفتيات يسمونني فيها «بابا شوقي» والغريب أنني لم أرَ جمال واحدة منهن خلال تلك الفترة... شعورهن بالأمان معي وحضور الجميلة المُطَلَّقة (مصر) كان يكفي لكي أشعر بالمسؤولية فقط...واستمر الأمر حتى أُصِبتُ برصاصة في المخ...ونُقِلتُ للعلاج في باريس...

لم أكن أصدق أن أحدًا قد يقع في أَسرّ غيبوبة لثلاث سنوات متواصلة حتى كنت ذلك الشخص...الشيء الوحيد الذي منع الأطباء من إعلان موتي إكلينيكيًّا أنني كنت أتحسن ببطء شديد طوال هذه الفترة مما دعا بأحد الأطباء لجعلي مريضًا بدرجة دراسة حالة لرسالته العملية...وأخَّرتُه كثيرًا حتى حصل على نتائج الدراسة...

اليوم أفقت على وجهين جميلين إلى جواري...وجه هايدي ووجه شوقي...كانا يُناديانني (بابا)...عبير كانت ومازالت تعطيني

دروسًا...فقد أخبَرَتْ ابنها بالحقيقة حين علمت أنني أحتاجه كابن قريب وكذلك أخبَرَتْ أُختَه التي اضطرت لتقبل الأمر بعد أن خلعتني زوجتي ولم تجد إلى جوارها سوى أخ لا تعرفه...لم تحتمل زوجتي استقبال تفاصيل (الحياة الجميلة) علنًا... فحين غبت تطوع الكثيرون لفضحي...

وفى أول نزهة في حديقة المستشفى مع شوقي بعد اتصالين جميلين من شاكر وفوَّاز...قال شوقي:

- كنت أُهذِّبُ لك شاربك بنفسي حتى أنني فكرت في تربية شاربي...

- إلا الشارب...أنت أكثر وسامة هكذا يا بُنيَّ...كل ما أتمناه أن تجد ما يعجبك غير الشارب...

- يعجبني الأب أيًّا ما كان...فنحن لا نجد أبًا كل يوم...كما أن أمي حين تتحدث عنك مازالت تغالب بعض الدموع...يبدو أن لديك الكثير يا أبا شوقي...

- بابا شوقي...

- بابا شوقي...

وأقبلت هايدي من بعيد ومعها زائرة أنيقة لم ألحظ منها سوى طولها الذي ظهر تزويره بكعبها العالي تدريجيًّا كلما اقتربت...كانت أسرار بشحمها ولحمها...قلت لها:

- أول مرة في حياتي أراكِ بهذه الأناقة...ما السر؟

- طلبت يَدَك من ابنتك ووافقَتْ...هل لديك اعتراض؟

- كنت وستظلين مجنونة...توقفي عن الهذيان...

كانت أسرار هي المرأة الوحيدة حولي التي لا تربطني بها صلة دم...كلهن انفضضن فجأة... علمت من هايدي أنها صممت على أن تتابعني بانتظام وقبلت العمل كممرضة هنا بادئ ذي بدء حتى تكون إلى جواري بوساطة شاكر صديقي دائمًا...ثم أصبحت طبيبة مؤخرًا جدًّا...فاجأني كل ذلك لأن تلك المرأة هي ذات المرأة التي قاطعَتْني بسبب تعدد علاقاتي...وها هي اليوم تطلب الارتباط بي جادة...نظرت حولي في هدوء وأدركت أن عليَّ العودة للقاهرة لأكتب مذكراتي مع كل من أحب على الأرض التي أحب...شيء واحد طلَبَتْه مني زوجتي «أسرار» : هو أن لا أحلق شاربي مهما حدث...

وتذكرت شاكر كعادتي في نهاية كل يوم:

لن تسقط أوراقي.

حتى يشيخ الغصن.

ولن يشيخ الغصن.

حتى تموت الشمس.

والشمس لا تموت.

ملحوظة: هذه المذكرات خيالية تمامًا وأي تشابه بينها وبين أية تفاصيل واقعية هو أمر غير مقصود على الإطلاق وقد يقع بمحض الصدفة.

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

نعيـمة و «الكُتبَجِي»

كلهـن يغـرن مـن نعيمة...لـم يكـن يظـن أن أحـدًا مـازال يحمـل هـذا الاسـم حتـى رآها...يعتقـد أن أمهـا أطلقـت عليهـا ذلـك لأن كل مـا بهـا ناعـم وليـس تيمنًـا بالنعمة...كلمـا تحرَّكـت أمامـه تحمـل سـلَّتها القديمـة بمحتوياتهـا الطازجـة كاللـون الأخضـر ذاتـه، يشـعر أن الجمـال هبـة تحتـاج لبراعـة عازف...جسـدها يحـب الموسـيقى... وصـوت ضحكتهـا لـه لـون النعـاس الطفل...مـا أجمـل أن تنـام النبرات في تُؤدة علـى شـفتين مـن الموسـيقى...ما أجمـل أن يضحـك جسـد نعيمـة في أذنيـه...

اليـوم فاجأتـه نعيمـة ابنـة العشـرين عامًـا بأنهـا قـررت أن تنقـل عملهـا نقلـة نوعيـة...سـتعتمد خدمـة إيصـال الخضـروات للمنـازل...

- هل أصبح لديكِ «موبايل» يا نعيمة؟

- مـن ليـس لديـه يـا أسـتاذنا «الكُتبَجِـي» فقـط سـأعطي زبائنـي الرقـم (وكلكـم نظـر بقـا يـا باشـا)...

صمَتَ قليلاً...لـم يكـن يعلـم مـن أيـن تأتيـه هـذه الصـور المُبالَـغ فيهـا! كان مجـرد تخيـل صوتهـا ينسـاب إليـه مـن ثقـوب الهاتـف الضيقـة يُشـعره بـأن كل هـذه الجمـال الناعـم يغرقـه في كرسـيه الـذي

يقضي عليه كل يومه تقريبًا...وأحس بطعم العسل في حلقه يغير لون الورق تحت يديه وهو يكتب من آثار الغرق...انتشلته نعيمة من أحلام اليقظة:

- سجِّل الرقم عندك يا أستاذنا الكتُبَجِى...

ارتبك حتى أنه فشل في إخراج هاتفه من جيبه... لم يسيطر على حركة أصابعه وكأن أحلام اليقظة امتدت للواقع... أخرج بعشوائية بضع أوراق من حقيبته كتب الرقم أعلى رأس أول ورقة...

- أنا دائمًا في الخدمة يا أستاذنا الكُتبَجِي...

- هذا أمر أكثر من رائع يا نعيمة...

الحقيقة أن نعيمة كانت تعلم أنها ليست «سوبر ماركت» وأنها تستجدي مالاً بسيف الحياء... وأحيانًا بسيف الجمال...نعيمة تعلم كل شيء ككل امرأة وتعلم أنها ستحصل على ربح أكبر مما تتوقع...لذا اختارت زبائن «الموبايل» بعناية وبدأت تتلقى دعائم ثروتها الصغيرة بعد مرور دقائق خمس...

أما «حسن فرغلي» الكاتب أو «الكُتبَجِي» كما يحلو لنعيمة مناداته جلس بعد الغداء كعادته بصحبة أصدقائه...قفزت

الشخصيات من بين السطور ترحب به حينًا وتلومه آخر وتعنفه آخر... اشتبكت الأحداث حتى ظهرت بطلة الرواية «ميسم»عندها تذَكَّر «نعيمة» فجأة...فجعل يبحث عن رقمها الذي سجله على إحدى أوراق الرواية...وعبثًا حاول مرارًا ...لم يجد شيئًا...

عجز عن متابعة الكتابة...لجأ للحل الوحيد لديه...استراحة يحرق فيها ورقًا آخر كتهديد لأوراقه...بدا الشارع الهادئ من بين غيمات دخان سيجارته جميلاً موشًى بالسحاب الخفيف... لكن نعيمة لم تكن في مكانها المعتاد...فكَّر:(تُرى أين هي؟ من المؤكد أن هناك عشرة «كُتَبجِية» وليس هو وحده) عاود محاولة البحث عن رقمها في نوبة غضب خفيفة...أخيرًا شعر بالنعاس...

أيقظته «ميسم» كانت تضحك ضحكة اختزلت دفتر أحوال الأنوثة...وكان مشدوهًا لا يستطيع الحركة أمام ضحكتها وثوبها الأحمر...كأنها ولِيّ الشيطان...أمسكت ورقته التي يبحث عنها... ابتلعت الأرقام رقمًا تلو الآخر وهى تواصل الضحك...كانت فاتنة في شرِّها ...سمع نفسه يُحوقل ويستعيذ في مكان آخر...كان حُلُمًا...استيقظ مندهشًا كيف تذكر كل الأرقام بدقة...

اتصل بنعيمة...طلب أشياء لم يذكرها حتى لأنه لم يكن يريد طلب تلك الأشياء...ليس شريرًا لكنه فقط يحب النظر إليها...

تَروي أزهار روحه على نحو ما يرده شابًّا...هي منبع للجمال وهو صياده...خاف كثيرًا حين شكت له: (نحن جيران منذ زمن... هو اليوم الأول الذي تُلقي فيه كل هذه الأوراق على بضاعتي... هل أزعجتك يا أستاذنا «الكُتبَجِي» والله إن لك معَزَّة كبيرة عندي ورحمة أبي) هو لم يرم شيئًا على الإطلاق...ميسم تعبث معه...

رحلت نعيمة...وبدأ هو فورًا في حرق كل يوميات «ميسم» هذا العشق يغار...وهذا العالم لا يجب أن يُزعج عالم نعيمة... كان مذعورًا يحرق الأوراق في عشوائية وسرعة داخل سلة مهملات معدنية...وبعد سكب الماء على الرماد توجه لغسل الخضار سعيدًا يردد كلمات أغنية أم كلثوم (يا حبيب امبارح...وحبيب دلوقتي... وحبيبي لبكرة...ولآخر وقتي) .

●●●

العاشق الذي يجب أن يموت

أخبرته للمرة المليون في وقت متأخر ليلة أمس أنها تكره الحديث في التليفون...تجد أن نصف الغياب هو نصف حقيقة، وأن المجهود الذي نبذله في تخيل نصف الحضور يزعج هذا الحضور ويجعلك متألِّمًا لأنك تستدعي حقائق لا تأتي...في كل مرة كانت تُحدثه في الهاتف كانت تُنهي الاتصال بعصبية وتطلب منه ألا يتكلم فترة طويلة حتى لا يتكرر هذا الألم...أما هو فكان يتهمها بأنها لا تستمتع ببعض الأشياء الهامة في الحياة كالتواصل عبر الهاتف...ويصمم على الاتصال بها يوميًّا...كانت تجيبه أحيانًا وأحيانًا أخرى لا تستطيع فتح الخط... فاستمتاعه بأنصاف الأشياء لا تفهمه هي...تريد أن تأكل الأشياء الجميلة بشراهة حتى لا ينتهي الأمر بالإحباط...هكذا أمثالها...فقد كان لها من اسمها كل النصيب "منتهى»...وحقًّا كانت منتهى الحياة في كل ملمح...

هذا اليوم بدأ صباحه كعادته...اتصل بها...ولم تجب... فقرر أن يصنع قهوته، ويُسَرِّي عن نفسه بمراقبة حركة الطيور المشاغبة في شُرفتِه...حمل طبقًا نحاسيًّا صغيرًا مملوءًا بقطع الخبز الصغيرة...تجمعت مجموعة صغيرة من بضعة عصافير

حول قطع الخبز في الطبق... وضع الطبق في وسط الشرفة وجعل يراقب طيوره التي لا تمل من الحديث معه في هدوء... تخيلها كعصفورة لا تمل من التغريد كلما أعطاها الخبز...وأفاق على صوته وهو يدندن (وتغضب لما أقولك يوم يا ظالمني) قرر أن يزورها...

تذكر آخر مرة زارها...نهرته بشدة...أخبرته أنها لا تحب الزيارات المفاجئة...وأنها تحيا وحيدة في شقة ترافقها فيها فتاة لا تعرف عنها سوى اسمها...فهي تعمل طوال الليل بينما تعمل "منتهى» طوال النهار...ابتسم حينها وطلب منها أن تخرج معه... لكنها خافت أن تشتاق له ولا تجده كل لحظة فاعتذرت طالبةً أن يجعل الأمور تسير بوتيرة طبيعية، قالت برَنَّة صوت مهتزة:

- حين نحتاج للقاء معًا...سنلتقي...
- وماذا عني؟ جربي أن تلقيني ربما طلبت اللقاء مرة أخرى...أؤكد لكِ أنني قد أقضي ما بقي من عمري ألقاكِ...وفقط ألقاكِ...
- دعكَ من هذا...الحياة مليئة بتجارب كثيرة...لا تختصرها في لقاء أقصى ما يمكن أن يفعله هو أن يتكرر...

لم يكن يفهمها...ولم يطلب أن يفهمها...فهي جميلة هكذا... يكلمها كي تغلق الخط بعد دقائق... بغض النظر عن عطشه لها... هي لا تفهم فكرة نصف الارتواء...ومع كل ذلك وجد نفسه بلا وعي في أول الشارع الذي يتوسطه بيتها...تخفف من كل مخاوفه حتى صعد الدرج... وتفاءل كثيرًا هذه المرة وهو يضغط بأصبعه جرس شقتها...فتحت الباب ورأسها ملفوف بغطاء بلاستيكي غريب...أغلقت الباب في وجهه مباشرة...عاود ضغط الجرس بثقة...فتحت الباب ثانية...كانت بلا غطاء الرأس وقد انساب شعرها القصير المُشَعَّث قليلاً على عنقها...قالت بعصبية :

- ألم أقل لكَ ألف مرة أنني لا أستقبل زائرًا وأنا وحدي؟
- لا تعتبريني زائرًا إذن...
- إذن من حضرتك؟ أبي؟ أخي؟ عم سيد البواب؟ زوجة عم سيد البواب؟
- تهكمي كما تريدين...لكنني حقًا مشتاق لكِ جدًّا ولا أعلم كيف يصمت ألم الشوق...فقط جئت ولم أعِ أنني جئت حتى رأيت بيتك...

اغرورقت عيناه قليلاً بالدموع...لكنها لم تأبه لدموعه وسط فورة غضبها...وأيضًا لم تلتفت لثأثأته التي ولدت بينهما في

موقف مزعج...قالت بحسم: (سأقبل دخولك في حالة واحدة...أن تلقي نفسك من الشرفة).

هالَهَا ما حدث...فقد دخل فعلاً...نادت عم سيد البواب بسرعة خوفًا على سمعتها...جاء البواب بسرعة...كان هو يخطو بثبات شديد نحو الشرفة...وهي والبواب يناديانه بصوت عالٍ... فتح الشرفة وألقى بنفسه من الدور الرابع...

صرخت في صدمة شديدة...كاد قلبها أن يتوقف...وفَغَر البواب فاهه...فقد نفذ كلماتها حرفيًّا... في محضر النيابة أغلق المحضر لأن الفتى لم ينتحر لكنه نفسيًّا أدى أمرًا اعتبره رسالة حياته وهي حالة تحدث كل عشرة مليون حالة كما أشار الطبيب النفسي المكلف بدراسة القضية...أما هي فلم تشعر بالندم لأنها لم تأمره إلا بما كان يجب أن تأمره به لو دخل بيتها...

●●●

شباك أُم خميس الماشطة

كان منزل أم خميس الماشطة من أهم معالم القرية الصغيرة...فأم خميس هي (الكوافير) و(السبا) و(طبيب التجميل) الرسمي للقرية الصغيرة...ومازالت تلك المرأة تقبل أجورًا عينية... فالفقيرات يمكنهن تغيير بعضهن مقابل بعض الفطائر أو البيض الطازج البلدي...لكن زوجات العاملين بالخارج عليهن أن يدفعن بالعملة الصعبة مقابل خدمة خاصة...لم تكن تستعين بأية مساعدات فهي وحدها تكفي لسيدات القرية وعليهن انتظار دورهن...ببساطة كانت تظن أن ما ترى سِرًّا لا يمكن ائتمان غيرها عليه أبدًا، وكان هذا يزيد عملها جودة.

كان شباب القرية يمرون من جانب بيتها مطأطئي الرُءُوس غاضِّي البصر...لكن لم يكن يخفى على أي أنثى تمرّ بالجوار تلك النظرة الخفية التي يرمقونها بها...فهذه الفتاة دخلت البيت كي تكون جميلة، وكانت هذه الفكرة في حد ذاتها تكفي كي تصبح الفتيات فكرة جميلة تطوف بمن يمرّ بها طوال اليوم بل وتحتله احتلالاً كاملاً بتفاصيلها المشاكسة...

هذا الصباح كانت أمطار جنوب الوادي مزعجة جدًّا... صاخبة الرعد والبرق والرياح... أشعلت أم خميس المزيد من النار

تحت أدواتها...بالفعل كان الجو بارداً وكان هذا يعني زيادة أجرة الساعة نظرًا لتدليل الدفء المكلف...لديها اليوم في جدولها عشر جلسات...النساء يجلسن في البهو يتبادلن قصصًا حول زفاف ابنة العمدة بالأمس:

- سأطلب منها أن ترسم لي حاجباي كما فعلت لها بالأمس...
- لم يتعرف أحد عليها كانت مختلفة تمامًا...
- أحتاج أن أختلف للحد الذي لا يتعرف عليَّ زوجي به... التغيير مطلب ضروري...
- (إيش تعمل الماشطة في الوش العكر!)
- لم يكن هناك «أعكر» من «وش» عروس الأمس ومع ذلك أخفت «الماشطة» كل «العكارة»
- الأصح أن تقلن «لبس البوصة تبقى عروسة»

وتعالت ضحكاتهن مُجلِّلة في الطريق...فمن المسموح أن تضحكن هنا لأن الرجال يمنع عليهن مراقبتهن في هذا المكان... حتى إن سمعن شيئًا فليس من الرجولة التصريح بسماعه...وفجأة حدث أمر طارئ...تهورت حجرة بيضاء ملساء وكسرت نافذة

غرفة الحمام المغربي...سمعن جميعًا صوت الزجاج المكسور... أسرعن يغطين أجسادهن ويتأكدن من ثبات أغطية الرأس على رؤوسهن...وبدت أم خميس في غاية الاضطراب وهي تفحص البيت شبرًا شبرًا...كانت تركض في فزع وهي تتلفَّح عباءة خضراء سميكة من الكتان تغطيها...وتكرر: (لا حول ولا قوة إلا بالله) فالسرية والشبابيك المغلقة بالنسبة لها (أكل عيش)...وبعد دقائق...خرجت من غرفة الحمام المغربي ومعها امرأة مضطربة جدًّا...الشباك كُسر وانفتح على مصراعيه...لكنَّ أحدًّا لم يجرؤ على السؤال عما حدث...التزمت النساء الصمت...وخرجت عليهن أم خميس بكل هدوء: (الكسر في غرفة الحمام المغربي...أعتذرُ لكل من أتت إليه اليوم...فلا يمكن نقل الأدوات لغرفة أخرى) لكن باقي النساء اعتذرن وغادرن...حتى من كن في منتصف وصفة تجميلية غادرن دون إكمال العمل...وأدركت صاحبة المكان أن من حقهن أن يقلقن.

في المساء تحول الأمر لمشكلة حين شرع شحاذ القرية في التحدث عمَّا رأى حين انفتح شباك أم خميس الماشطة...ورغم علمها أنه كاذب تمامًا لأنها تعلم ماذا يوجد خلف الشباك إلا أن النساء العشر اللاتي كن في بهو بيتها وداخل أروقته وغرفة عُرفنَّ وتم تعريفهنَّ...لبست عباءتها الخضراء وتوجهت لبيت العمدة...

طلبت لقاءه...ولم يتأخر عن لقائها لعلمه بالأمر الجلل الذي لحق بعشر نساء معظمهن من أشراف القرية...قالت:

- أنت كبير القرية...تعلم كما أعلم أنني امرأة رأسمالي الحفاظ على أسرار زبوناتي... وتعلم كما أعلم أن شحاذهم كاذب...
- يمكنني أن أستدعي الشحاذ وأن أعاقبه...هل سيرضيكِ هذا؟
- أنت تعلم ما يرضيني يا حضرة العمدة...
- أعلم أنك تريدين تنظيف مهنتك...لكن ما حدث قد حدث...
- أنت مسئول الآن ليس فقط عن مهنتي بل عن سمعة عشر نساء من القرية...وأنا وهن نثق بحكمتك...

وتركت الكرة في ملعبه...لم يعقب على حديثها وتركها ترحل بهدوء...مرت ليلة واثنتان... وفي الليلة الثالثة استدعى الشحاذ للاستجواب...ولكن هذا لم يكن مُرضيًا لأم خليل التي انخفض عدد زبونتها للخُمس...وفي الليلة الرابعة صدر قرار بحبس الشحاذ...وظلت أم خميس تنتظر... حتى توجه العمدة بنفسه

لخطبة النساء السبع الغير متزوجات لأبنائه وأبناء أخيه العُزَّاب...
واستطاعت حينها أم خميس أن تعتزل مهنتها مرفوعة الرأس رغم أن كثيرات من أهل القرية صرن يتفاءلن بالشبابيك المكسورة...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

لستُ مجرمًا

انساب هواء أواخر سبتمبر الرطب الممزوج برائحة الأوراق المفتتة على الأشجار في قطرات مطر مسائية...سقط المطر نحيلاً متباطئ الحركة كأنه يحمل الكائنات نحو البيات الشتوي متثائبًا...فتح فتحي النافذة الضخمة في جدار صالة شقته الضيقة ذات الغرفة الواحدة...ثم أدار المروحة الكهربائية الصندوقية البلاستيكية...دارت الريشات الثلاث في تسارع و انسابت بعض النسمات المسلطة على وجهه...تنهد في راحة وهو يمدد جسده النحيل على أريكة تتصدر غرفة المعيشة التي تحتل الصالة... جذب (ساندويتش الشاورما) المغلف ورق الزبدة الأبيض وشرع يقضم منه قضمات صغيرة على فترات متباعدة...كأنه يخشى أن ينتهي سريعًا...هنا سمع صوت جرس الباب...أصابه غضب شديد، فآخر شيء يود فعله هو أن يهجر عرشه المريح وبدايات نعاس على كف المطر...

كان الطارق رجلاً يبدو في منتصف الثلاثينات له (كرش) بارز على نحوله...يتنفس بصعوبة ويحمل في يده حقيبة من الكتان الأسود...ظن فتحي أنه ككثيرين غيره يبحثون عن الخياط القاطن بالأعلى...لكن الرجل أكد أنه يريده هو، وطلب منه أن

يسمح له بدقيقتين من وقته لأنه يحمل أخبارًا ستغير حياته... سمح له بالدخول وسط موجة من الاستغراب « هيخسر إيه يعني! هو عنده حاجة يخسرها أساسًا!) على قدر اطمئنان فتحي كان الرجل مضطربًا...دعاه لتقاسم الساندويتش لكن الرجل شكره بلطف معتذرًا...ساد الصمت لبرهة... مسح الغريب عرقه الغزير ثم قال:

- مضى وقت طويل منذ التقيت بك آخر مرة.
- هل التقينا قبل ذلك؟
- أعلم أنك لا تذكرني فسائق التاكسي لن يذكر كل زبائنه لكن الزبون قد لا ينسى سائق تاكسي غيَّر حياته...
- تعني أنني غيرت حياتك! لا أعلم ما قصتك مع تغيير حياتك وحياتي لكن أظن أن الأمر يحتاج لكوبي شاي...

ومع أول رشفات الشاي...استأنف الرجل كلامه بهدوء حذر يقطعه نظرات قلقة لوجه فتحي تبحث عن رد فعل معين...قال:

- أنا رجل فقير أعمل ساعيًا في مكتب محامية مغمورة... أوصلتني معها منذ حوالي الشهرين لمحكمة الاستئناف... وبينما كنت أفكر في حماتي التي تحتل بيتي رغم وفاة

زوجتي منذ عامين - الله يرحمها- ورغم أنني لم أنجب أطفالاً من ابنتها إلا أنها قررت أن تبقى معي لأن كلينا فقد كل ذويه...حاولت كثيرًا إجبارها على الرحيل بالتلميح والتصريح لكنها كانت تصرخ وتجمع الجيران متهمة إياي بنكران الجميل واستغلال ضعفها وتستمر في تخطيطها العادي لحياتها معي...سمعت من الكثيرين أنها تملك ثروة لكنها أبدًا لا تبوح لأحد...صدقني لم أكن أريد شيئًا سوى أن ترحل...فقط أن ترحل...أنا لست شريرًا.

- ومن ذكر الشر هنا؟
- أنت...
- من؟ ماذا؟ أنا!
- نعم أنت...لا تدَّعِ البراءة هكذا...
- هل أتيت لزيارتي أم إهانتي؟
- سأدخل في الموضوع...وعدتك أن أختصر...أنت من تحدث مع الأستاذة عن الدواء الذي تأخذه وكيف أنك لو أخذتَ كمية معينة من نوع من الفاكهة بعده يمكن أن تقضي سريعًا...

- لا تقل أنك فعلتها مع حماتك أرجوك...

- وحملتها للمستشفى بيدي...ووقفت بكل ثقة مع الطبيب أسأله عن سبب وفاتها وأدِّعِي أنني لا أصدق أن امرأة عمرها ٧٧ عامًا تموت فجأة هكذا...

- وهل صدقك الطبيب؟

- لا أحد يصدق أنك قتلت أحدًا بكوب عصير فاكهة معينة...لا أحد يصدق أنك قتلت حين لا تصدق أنت أنك قتلت...

- والآن جئت لتُحَمِّلني مصيبتك...أمامك خمس ثوانٍ إما أن ترحل أو أبلغ الشرطة...أنا مواطن شريف...

- أنت المجرم الحقيقي هنا...

- مرة أخرى تعود للإهانة...

- كل جريمة فكرة وتنفيذ...أنت الفكرة وأنا التنفيذ...وقبل أن تتسرع في الرد...هذه الحقيبة بها نصف النقود التي وجدتها مخبأة تحت بلاطات غرفة حماتي...مليون جنيه مصري...

obeikandi.com

صُعق فتحي...سقط كوب الشاي من يد فتحي...انكسر وتناثرت شظايا الزجاج على الكيس الكتاني الأسود....تابع الغريب وهو ينظف الكيس:

- يا صديقي كلنا داخله مجرم صغير...لسنا أبرياء أبدًا... لو كانت حماتك معك في ذات الظروف ربما كنت أول من يفعلها...
- كلنا لديه أفكار إجرامية فهل يجب أن نحاسب على التفكير الإجرامي؟...أنت مريض...
- لو لم تفكر أنت لما ماتت حماتي...الأمر بسيط جدًّا ولا يحتاج لأية تفسيرات...فكرت أنت وتحدثت بالفكرة... فوصَّلت لها الفكرة...خذ أموالك وأرحني...
- أنت تريدني أن أقبل أموالك لتجعلني شريكًا معك في جريمتك...
- وقف الغريب محتدًّا عليه...أقبل في غضب عليه...خاف فتحي وقبض بقوة على ذراع الكرسي مستغيثًا بها...قال صارخًا في همس وغيظ خوفًا من أن يسمعه أحد:
- هذه ليست أموالي وحدي كما أن الجريمة ليست جريمتي وحدي...خذ أموالك واقبل دورك...أيعجبك فقرك؟

- أنت... أأأأ...

انهار الغريب على الأرض فجأة مصابًا بحالة عنيفة من ضيق التنفس...لم يستطع حتى الصراخ...هرول فتحي نحو باب الشقة ليستغيث بجاره الطبيب...لكنه توقف قبل اللحظة الخطوة الأخيرة...نظر للكيس الأسود...تُرى من يعلم بالأمر أيضًا؟ تُرى هل هي فكرة رجل واحد فقط؟ هل وجود أي دليل يثبت زيارة الغريب له يمثل توريطًا له؟ عاد للرجل فلم يجده ووجد جثة ميت...مات الغريب...

تجمد فتحي في ذهول أمام الجثة...وبسرعة تخيل ملامح زوجته العائدة من العمل بعد ساعة وهي تتأمل جثة الغريب... لن يستطيع التفكير للحظة من بكائها...سيعترف فورًا بكل شيء وستربكه جدًا حتى باب (قراميدان)...جرَّه بهدوء نحو سطح المنزل...لم يكن الأمر مُريبًا حين لفه في سجادة وحين تذكر أن شقته تقع في الدور الأخير...ترك الرجل بلا هوية على أول بلاطة بعد السلم...

ما إن دخل لشقته حتى سمع ولولة نبوية جارته التي تسكن في الشقة المقابلة لشقته...خرج بثقة لإغاثتها...أخبرته أن رجلاً مات على السطح وأنها تشك أنه كان مريضًا (شكلو لا مخنوق ولا

مدبوح يا أخويا)...وأكملت مسيرتها مولولة حتى باب العمارة... تجمهر الحي كله حول الغريب...وفي المستشفى أعلن الطبيب أنه مات بسكتة قلبية...كل هذا وفتحي بارد الأعصاب جدًّا وترن في رأسه كلمات الغريب « لا أحد يصدق أنك قتلت حين لا تصدق أنت أنك قتلت» حين عاد للبيت وجد زوجته تقف أمام كيس الكتان مندهشة...قال لها: (هي أموال تركها أحدهم في التاكسي...كنت سأسلمها للشرطة وأعود لكِ بالـ ١٠٪)...واعتقد في أعماقه أن الأموال التي حصل عليها صارت حلالاً وأنه بريء...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

امرأة تبحث عن إثم

أسامة لا يتوقف أبدًا عن الشك ثم الشك ثم المزيد من الشك...يؤمن إيمانًا كاملاً أنه على حق...ففي كل مرة أخبر أحد أصدقائه أن زوجته كاذبة كانت بالفعل كاذبة...وفي كل مرة شكَّ في أن عاملاً من العمال يسرق من كاشير متجره كان يضبط معه المسروقات بالفعل...كثيرًا ما ردد عبارة: «كيف لا أكون على حق وأنا صائغ يجيد تقدير المعادن والأحجار الكريمة بالجرام والقيراط!» إيمانه بأن ما يقوله يحدث جعله يتخوف من الثقة بالآخرين...فكثرة الإيقاع بالآخرين عن فراسة أعطاه تدريجيًّا إحساسًا دائمًا بأن الجميع على خطأ وأن المسألة لا تعدو أن تكون مسألة وقت حتى ينكشف ما يخفونه من أخطاء وخطايا...

ولم يكن غريبًا أن تتحول علاقته بزوجته يومًا بعد يوم لحالة من انتظار كارثة متوقعة بحذافيرها رغم أن الكارثة لا تحدث أبدًا...زوجته «ليلى» الجميلة التي تزوجها بعد أن حصلت على الثانوية العامة مباشرة...هي امرأة لا تطلب شيئًا ولم تعرف من الرجال عن قرب غيره وأباها والسائق البالغ من العمر ٥٥ عامًا...احتفلت بالأمس بعيد ميلادها الواحد والعشرين...وفي كل يوم تزداد ذكاءً كلما تعلمت الحياة أكثر...لم يكن يتقبل أن فتاته المميزة أتته صغيرة جدًّا وأن الطبيعة لا تتركنا حتى ننضج في

موعد حددته هي لا نحدده نحن...لذا فاجأته الطبيعة بأن ليلى تتغير كلما خطت نحو الرشد...لذا وجد من الأسهل أن يظن أن ليلى تتغير لأنها لم تعد تحبه ومن ثم فلا بد أنها تحب آخر...إذن ليلى تخونه وما هي إلا أيام أو شهور حتى تفاجئه بخطط جديدة لحياتها تهدم كل خطط حياته...ليلى لم تنجب حتى الآن وهو من طلب منها تأجيل الإنجاب ولا يعلم لماذا لكنه رفض بشدة أن يكون له أطفال في بداية زواجه...كان كلما راقب تكوين جسدها الجميل كل ليلة يزداد خوفًا من أن يهبها ابنًا...ولم يشغل باله أبدًا سوى بشعور الخوف ذاته لا بسبب الخوف...

عيَّن مُتَحرِّي خاص منذ شهرين لمراقبة زوجته...وعلمت هي بالأمر منذ اليوم الثالث... ولأنها تعرفه جيدًا لم تُلقِ بالاً للأمر بادئ ذي بدء...فهي لا تفعل ما تخفيه عنه في جلسات التحقيق المسائية كل عشاء – التي اعتادتها كما تعتاد الطفلة توبيخ والدها لها على التأخير في المدرسة – بينما تستمتع كثيرًا بذلك التأخير طالما هي لا تكذب ولا تخشى اكتشاف شيء تخفيه...

لكن مع عيد ميلاد ليلى الواحد والعشرين بدأت تشعر بشعور مختلف وهي تنظر في المرآة... كل شيء تغير مع زيارة موظف البنك لهما صباح أول أيام عامها الجديد...يطلبونها للحضور لأن أحدًا لم يعد بإمكانه أن يتصرف في حسابها سواها وهم بحاجة لفورمات التوقيع الجديد...بدأت تتذمر وتكذب متعمدة في

أمور تافهة لا تستدعي الكذب كلون الثوب الذي ارتدته صباحًا في زيارتها للنادي الرياضي...وبدأت شكوكه تتصاعد...وبدأ يشعر أنَّ حدسه لا يكذب وأن الكارثة التي طالما توقعها على وشك الانفجار...

ذات مساء أعدت لكليهما الشاي بعد العشاء...اقتربت منه متعمدة أن تُلفت نظره برائحة عطرها المبالغ فيه...تصاعدت شكوكه...قال:

- هل تنتظرين أحدًا ؟
- لا...لكنني أنتظر أن يعود السائق من المشوار الذي أرسلته فيه...عيد ميلاد ابن صديقتي نوال...
- كيف لم تدعُنِي؟
- إنها شبه جلسة نسائية...لا تريد أن تفسدها بالتأكيد...
- بدأت تصرفاتك تزعجني...
- إذن احذر الشاي...فالسُمُّ مازال طازجًا...

ابتعدت ضاحكة...وشعر هو بمغص شديد...ولم يخبرها محاولاً التماسك...انتظر بفارغ الصبر حتى غادرت...وهرع لأقرب مستشفى...كانت كاذبة...لم يكن الشاي مسمومًا...اتصل بها محاولاً تفريغ غضبه في شحنة توبيخ لكنها أغلقت الهاتف...

اتصل بمُتَحرِّي المراقبة...أخبره أنها خرجت مع السائق في جولة حول المنزل ثم عادت بعد عشر دقائق...لم يعد يفهم شيئًا... وحين رجع كان على موعد ما كارثته...رجل آخر في بيته...لم يكن يفعل شيئًا مريبًا...لكنه كان في بيته مع زوجته...جرَّه من ثيابه في نوبة غضب وسباب...طرده...عاد إليها...كان يعلم أن المُتَحرِّي سيأتيه بتفاصيل حياة الرجل حتى لو يراه أحد وهو يدخل البيت...لا داعي لشغل باله به...أقبل عليها هادرًا كعاصفة... لكنها فاجأته...كانت خارجة من غرفتها تجر حقيبة ملابسها... أذهله الأمر...جرها من يدها...تخلصت منه بالقوة...انفعل...قال صارخًا:

- خائنة ووقحة أيضًا...سأنتقم منكِ...

- لا أظن أنني أستحق العقاب على جريمة مرتين...لطالما عاقبتني بالشك وأنا بريئة...على الأقل أنا الآن أستحق العقاب وهذا مريح جدًّا لو لم تكن تعلم...وداعًا...

وسمع ضجيج رجَّة الحائط تحت وطأة صفعة الباب...

●●●

وتبقى الأنثى

هطل المطر على غير عادة سماء شهر يوليو...تجمع الشباب في جزر مستقلة متجاورة تحت لافتات المحلات الأنيقة في الشارع الواسع...تشابكت أيدي بعض العشاق وهم يسيرون تحت المطر في جنون...مطر الصيف يغسل حرارة جسدك لا برودتها لذا لا يتركك مصابًا بالأنفلونزا...على باب محل عطور أنيق وقفت الفتاة الكاشيرة وحيدة قصيرة تربط نصف شعرها بإيشارب أزرق داكن يشبه لون هالات تحت عينيها...فوجئت به على البعد... أقبل مبتسمًا...نظرت حولها تحاول معرفة يبتسم لمن...لكن لم يكن حولها أحد...ابتسامة كهذه تحتاج فتاة جميلة...وهي في زِيّ العمل الموحد وشعر معقوص في منتصف رأسها تحت إيشارب ليست حافزًا لأي ابتسامة...لا إراديًّا جذبت ثيابها تحت خصرها النحيل...أجمل ما فيها...مررت كفها الصغير على كتفها وصولاً لخصرها...وقف على بعد بضعة أمتار يراقب وجهها خلف المطر وعلى وجهه هذه الابتسامة الرائقة...ارتبكت كثيرًا...مرَّت عشرون دقيقة...طال عُمْر المطر...قررت أن تُمثِّل التجاهل فهي لن تدخل المحل...لطالما أحبت تقارب البشر من بعضهم تحت المطر...لا واحدة هنا...

توقف المطر...وقفت ترقب تفرق مجموعات الشباب...وقد عُلِّقت لافتة مغلقة على باب المحل دون استئذان صاحبته... كانوا يتحركون في سعادة وينفضون بأيديهم ما تبقى من قبلات الماء على أكتافهم ورُءُوسهم بنشوة...وكأنَّ أحدًا لم يلحظ ارتفاع الرطوبة الملحوظ الذي بدأ يخنق أنسام هواء الصيف الشحيحة قبل الغروب...اقترب منها أكثر...تحفزت لنَهرِه...فهذه الأمور في أماكن (أكل العيش) لا يمكن التهاون بشأنها مطلقًا...كان جريئًا لدرجة أنه رمى ببطاقة في جيب ثوبها الكبير...ثم نظر لعينيها وابتسم مجددًا...وكأن ابتسامته خدرتها...لم يقل شيئًا...فقط سار بظهره موجهًا وجهه وابتسامته نحوها حتى اختفى...واستمر الخدر يحملها إليه حتى اختفى...تحسست البطاقة...كتب لها: (كما كانوا يفعلون أيام الحب...الأوراق خير رسول...أعلم أنك ستغادرين بعد ساعة...أرجوكِ ثم أرجوكِ ثم أرجوكِ...أعطيني جرعة قلب ولاقيني في المقهى الذي تزورينه كل صباح)...

تلفتت حولها تبحث عنه لكنه كان قد اختفى...دلفت للمحل بهدوء...لم تزعجها أصوات ضحكات بائعات العطر في غياب صاحبة المحل كعادتها...جلست خلف شاشة الكمبيوتر تحاول عبثًا أن تغلق حساباتها قبل الرحيل...لم يعطها أحد موعد قبل ذلك...للمرة الأولى تلاحظ أن لها شعرًا جميلاً لم يفسده المطر،

نظرت للمرآة وأحبت شعرها...حررته من الإيشارب فنزل بحذر على كتفيها...أضاء هالات السهر والنحافة تحت عينيها...وكعادة الفتيات تَجمَّعْن حولا يسألنها عن السبب ويمزَحْن محاولات دغدغتها وشد زِيّ العمل من على جسدها حتى تظهر ثياب الأميرة تحته...لكنها لم تستطع يومًا أن تكون مثلهن في ضوضائهن... اكتفت بالخجل...لكن مديرة البائعات رفعت رأسها نحوها وقالت: (بعض من أحمر الشفاه يفيد كثيرًا) ورسمت شفتيها النحيلتين بلون التوت...وانتهت الحفلة التي أقامتها الفتيات حولها كما بدأت مع خجلها وصمتها وإنكارها أن هناك شيئًا تغير...أغلقت حساباتها بصعوبة وسلمت الوردية لزميلة المساء...التي اندهشت من أحمر الشفاه كثيرًا...

سارت بهدوء نحو المقهى على رأس الشارع...عَلَت دقات كعب حذائها المتوسط الطول على الرصيف المبتل داخل أذنيها...حتى أنها توقت أكثر من مرة تفحصه واختلط عليها الأمر بينه وبين دقات قلبها...تذكرت عينيه الزرقاوين خلف ابتسامته...تراجعت خطوتين للخلف خجلاً...فركت كفًّا في كف فارتجفت أصابعها قليلاً...ثم عاودت السير...كان يجلس هناك في المقهى يعبث في أوراق جريدة ملونة بشكل لافت...

فجـأة زال الخجـل عنها...تسـتطيع الآن أن تـدرك كـم النشـوة التـي تحيـط بها...لـم تكـن مزحة...هـو أمامهـا والكرسـي الشـريك لطاولتـه خـالٍ...ولأول مـرة تشـعر بأنهـا أنثى...رحلـت ولـم تذهـب للقائـه... قـررت أن تحتفـظ بنشـوة الأنثى...خافـت حتـى المـوت أن تصبـح أيـة خطـوة وجعًـا لتلـك الأنثـى... يكفيهـا بطاقـة رجـل صـادق تحـت المطـر رآهـا أنثـى جميلـة...

●●●

obeikandl.com

تشيلا

لأن كفها الرشيق الرقيق يُذكره بشيء جميل جدًّا لا يستطيع تحديد ما هو...ظل حجرًا عينيه معلقين به...وظهر اللون الأخضر...تحرك كفها على منحنيات عجلة القيادة...لم يتحرك هو...نظرت له باستغراب وأشارت بكفها نحو الضوء الأخضر... لكنه ببساطة أشار لكفها وشعر في حَلقِه بشيء يشبه القشدة... بدأت تشعر بالغضب منه...تجاوزته وانطلقت... شعر بالقشدة في جوفه...تبعها لا إراديًّا...كأنه معلق بأمل جميل أزرق اللون يغريه بالقشدة...

لم تلحظ في البداية أنه يتبعها...واستمر يطارد يدًا يعلم أنها معلقة بذاكرته بشيء جميل لكن الذاكرة مصابة دائمًا بالثقوب... دلفت إلى شارع صغير تزينه أشجار الصفصاف...تركت سيارتها التركواز الصغيرة أمام مطعم بيتزا صغير منمق...وخرجت مسرعة الخطى... لحقها تاركًا سيارته السوداء في منتصف الطريق الصغير...لم يلفت نظره سوى حقيبتها العنابية اللامعة وانعكاس خاتم كبير من الفضة يحيط بأصبعها على الحقيبة... حقًّا كان يلحق بذكرى مرتبطة بهذه اليد...

كان في انتظارها ثلاثة رجال وسيدتين...حيَّتهم وجلست... فوجئت به يتقدم منها على مهل...بدأ شعور بالخطر يتسلل إليها...قالت للرجل الجالس على يمينها هامسة:

- منذ إشارة المرور وهو يلحق بي...هو لا ينظر لوجهي أبدًا...أخاف أن يكون مجنونًا.
- لا أظن...يبدو على الرجل أنه في مركز مهم...انظري لسلسلة مفاتيحه وبدلته...سجائره... كيف يلحق بكِ مجنون ولا ينسى أن يحضر مفاتيحه وسجائره! المجانين متسرعون دائمًا...
- فقط راقب كيف ينظر ليدي...إنه مجنون...

قاطع حديثهما صوت الجارسون: (سيارة «كيا» سوداء...هل هي سيارة أحدكم؟)...نظرت من جدار المطعم الزجاجي لا إراديًّا... كانت سيارته تسبب شللاً مروريًّا تامًّا للشارع الصغير...فوجئت به أمامها حين التفتت بعيدًا عن الشارع...كان يخبر الجارسون أنه صاحب السيارة وأنه سينزل حالاً بصحبة الآنسة...حينها ثارت... هي لا تعرفه فعلاً...دقت الطاولة بيدها و انساب الكركديه الأحمر من كأس صغيرة على يدها...بادر سريعًا قبل أن يلحظه أحد بمسح أصابعها بمنديل الطاولة...قال: (تمامًا كما كنتِ تفعلين

حين أُسقط العصير على ثيابي في الشتاء...أتذكرين لون كرات الثلج الملونة بالعصير يا تشيلا؟) تطوع زملاء طاولتها في إبعاده... لكنه كان يقاوم بشدة...حتى أنه قال لها بلغة غريبة كلامًا لم تفهمه ثم أتبعه: (أنتم لا تفهمون كلامها...هي لا تتكلم العربية... تشيلا حبيبتي لا تفهمكم... دعوني أشرح لها).

بدأت تشعر بتعاطف لا تعرف سببه...طلبت من الجميع أن يهدءوا...ودعته لطاولتهم...لم يفهم رفقاؤها تصرفها...سألته عن اسمه...(باسل)...طلبت منه أن يُذكرها كيف التقيا...تنهد في ألم...نظر لكفها ثانية...شعر بالراحة بما يكفي لأن يتكلم:

- أعلم أن سنوات طويلة مرت...أنتِ الآن أطول وأجمل... وأنا صرت أملك شَعرًا بُنياً بدلاً من خصلاتي الشقراء القديمة...لكن يمكنك أن تتذكريني...أثق بذلك...أنا باسل رفيق مقعد (الحضانة)...ألا تذكرين بودابست! كيف كنتُ أوصلك لبيتك الصغير وأعود بعد الظهر لنكتب قصصنا على كرات الثلج! ألا تذكرين لون ثيابي الملطخ كل ليلة وأنا أدرس إلى جوارك ؟ وصوتي في التليفون قبل أن أنام! و(آرن) دميتك الجميلة التي أهديتها لكِ! ألا تذكرين وعدًا قطعناه معًا أن نلتقي مجددًا مهما طال الغياب؟ اليوم ٥ يونيو...عيد ميلادِك يا تشيلا...

- إنه عيد ميلادي فعلاً...لم يذكر أحد...

- أنا لم أنس أبدًا...صورة الصف الجماعية لا تفارق هاتفي...ماذا فعلتِ بنسختك حبيبتي؟

اندهشت...هي لا تعرفه أبدًا...نظرات رفقاء الطاولة بدأت تتهمها...هم زملاء عملها قرروا اللقاء لتناول الغداء قبل بدء وردية المساء لتصميم روابط شبكة كمبيوتر داخلية لإحدى الشركات... هي لن تهتم بهم كثيرًا على كل حال...بدت عيناه البُنِّيتان بعد أن خلع نظارة الشمس مفعمتين بالأمل...تحيطهما غلالة رطبة من الحب...صارت كفه حول كفها الصغير أكثر دفئًا...لم يكن ينتظر منها ردًّا...شعر براحة عودته لباب بيتها وانتظر أن يصنع كفها الصغير له القشدة مع كرات الثلج...سينام الليلة كما كان يفعل بعد أن يقولا ل (آرن) معًا (تصبح على خير) وسيحلم حلمًا جميلاً...

فجأة وقفت فوقف مباشرة...قالت:

- باسل...ألم يخبرك أحدهم أن القيادة فن! حركة المرور معطلة بسببك...أو على الأصح بسببنا...هيا فمازال أمامنا الكثير لنفعله...كيف هي والدتك الآن؟

- تنتظرنا ما دامت والدتك لا تنتظر...

استأذنت من رفقائها ...لم تُلقِ بالاً لنظرتهم لها حين أخبرتهم أن باسل قريب قديم لم تره منذ سنوات طويلة...لأن صدق نظرته يكفي أن ترحل طويلاً من أجلها...هي لم تكن تشيلا أو ربما كانت أو ستكون في حياة أخرى هكذا أصابها اليقين...

فهي تريد أن تكون تشيلا الجميلة...تلك الصغيرة التي تنهي يومها في (الحضانة) لتُربك كل إشارات المرور أمامه...لأن المكان الوحيد الذي يريد الذهاب إليه هو حيث علَّمته كيف يصنع أول كرة ثلج...

ملحوظة: هذه القصة من وحي قصة حقيقية لصديق.

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

يا عزيزي كلهن قطط

«الأيام العاصفة تنتهي نهايات باردة جدًّا» يردد جده دائمًا هذه الجملة...وأحيانًا يكررها بدون مبرر واضح بالنسبة له...لذا قرر فراس أن يجرب هذه الوصفة للمرة الأولى هذا المساء...كيف يمكن أن ينتهي يوم فصل فيه ثلاثة من أصل خمسة يمثلون طاقم الإعداد في برنامجه نهاية باردة؟ لم يكن يريد سوى الاستلقاء في قاع مكعب ثلج من ثلاثة يرقصون في قاع كأس عصير الكريز بالصودا في يده...تنهد...ومال برأسه للخلف حتى غاص في عمق كرسي المقهى الوثير...واصطدمت عيناه بها...شعر باحتراق لاذع في طرف لسانه...وبينما كان يراقب الفتاة السمراء الدافئة جدًّا - كما شعر- نادى النادل (الكريز بيحرق)...(هأغيرو حالاً)...(سيب التلج عايزُه).

كانت الفتاة تحمل قطة مراهقة شعرها في لون الكراميل... تدللها بالعبث في شعرها بهدوء...كل النساء يعشقن تدليل القطط...لكن ما لم يعرفه أن حاملات القطط يرغبن دومًا في أن تحملهن أنت كالقطط...لذا كانت تدلل قطتها بسخاء أمامه... والقطة تموء بكسل فتضحك هي بدلال...ظل جامدًا بلا حراك... لكنه أيضًا لم يرفع عينيه عنها...وكان هذا يكفيها جدًّا...الغريب أنه لم يكفِ القطة التي ثارت حتى جرحت صاحبتها بمخالبها...

انزعج فراس جدًّا...وقطب حاجبيه خوفًا...همَّ بالوقوف لكنه اندهش من أن دلال القطة سرى إليه وخدره...فرفض جسده ترك الكرسي الوثير المبطن بالإسفنج والفايبر...فاستسلم للكرسي بهدوء...واستمر في المتابعة القلقة...حاولت الفتاة استرضاء القطة التي استكانت على الكرسي المجاور لصاحبتها بعيدًا عن حِجرِها...جربت جذب القطة نحوها مجددًا عبثًا...بدا كأن القطة تستحضر ماضيها في الغابة حين كانت نمرًا...ردود أفعالها العنيفة وصوت موائها الحاد رغم حجم حنجرتها الصغير لفتا نظر الجميع...وهربت القطة من صاحبتها...

فوجئ بها تركض نحوه بقوة...لم يملك الوقت ليتحرك... وجدها في حجره...حاول دفعها بعيدًا لكنها كشفت عن مخالبها وتمسكت بالجينز الذي يرتديه دون أن تخدش جلده خدشًا واحدًا تحت الجينز...أسقط مكعب الثلج من يده عفوًا محاولاً الوقوف حتى تبتعد عنه...فوجئ بها تلعق الثلج بلذة كبيرة...

كانت الفتاة تقف على بعد وقد امتزج خمر خديها بحمرة ارتباك...ماذا تفعل...لا إراديًّا أقبلت على فراس...تشعر بمسئولية من ألقى السكين من نافذة عفوًا فأصابت مارًّا أسفل النافذة عفوًا... قالت: (ماتحاولش تبعدها أحسن تعورك...هي هتمشي لوحدها) (ولَّما هو كده بتخرجوها بره البيت ليه) (حقها...هي مش روح! وبعدين شوف حابَّاك إزاي!) (إحنا في إيه ولا في إيه!)

بمرور الوقت بدأ يعتاد القطة...وتحول خوفه من تصرفها إلى اعتياد على شغب طفل صغير... وبدأت القطة بالتبعية في الاسترخاء حد تحرير نسيج الجينز...وبدأت تمارس الدلال وتفرك كراميل شعرها الناعم في بطن يده...كانت الفتاة تجلس إلى جواره تراقب القطة في حذر...رأى شَبهًا كبيرًا بينهما...كلاهما كالخمر...سرى في عروقه الخدر...قالت له بهدوء مدهش: (جدي بيقول إنها قتلت أمها بس مقالّيش إزاي) (أنا عرفت إزاي)... (آسفة بجد).

رفع القطة بهدوء بعيدًا عن حِجرِه...كانت وديعة جدًا... حركت رأسها بين يديه...رأى عينيها العسليتين تُحبَّانه جدًّا...وجد صعوبة في أخذ القرار بإعادتها للفتاة...وحين مدَّ يديه بالقطة نحوها...رفضت القطة وقفزت لصدره ناشبة مخالبها في قميصه القطني...ضحك...اندهشت الفتاة...أسعدته فكرة أنه قد يراها ثانية...وأسعده أكثر أنها أيضا تريد رؤيته...يمكنه أن يحتفظ بالقطة حتى الغد...هي عصبية المزاج جدًّا...ويمكنها أن تقتله... لكن يكفيه أن صاحبتها تثق به...كلاهما بدأ يثق باختيارات القطة دون أن يندهش من ثقته بقطة مراهقة...وهو سيراها في القطة...

لم يسألها عن شيء...لم يرغب في أن يعرف شيئًا عنها...كان يخاف من حجم تعلقه بامرأة لمجرد تعلقه بقطتها...هو لا يعرف

عنها سوى أنها ستلقاه غدًا في نفس المكان...وتذكر كلمات جَدِّه لأنها بدأت تتحقق...ودَّعها على جملة قالتها بعد أن ابتعدت عنه: (افتحلها الباب أو شباك... مبتحبش الأماكن المقفولة وعشان متوسخش البيت) ابتسم وراقبها حتى رحلت...ولم تحرك القطة ساكنًا لرحيل صاحبتها حتى شكَّ لوهلة أنها سرقت القطة من إحداهن...

في الصباح لم يجد القطة...خرجت ليلاً...بحث عنها طويلاً... ولم يكن حزينًا ولا خائفًا...ما حاجته بالرسالة إن كان يملك عينيّ المُرسَل إليها! فكلهن قطط...وقد وجد قطته...ولم تحزن الفتاة فقط لأنه لم يحزن...ولأنها أرادت أن يحملها كقطته الوحيدة...

●●●

obeikandl.com

سآكلكِ من فضلك

انهمر المطر غزيرًا...بلَّل أهدابها الجميلة الطويلة وغيَّر لون شعرها البُنيّ الغني بنداءات الاقتراب فصار كغابة سوداء لامعة... لم يكن هناك مفر من المطر...كلهم لديه دور كي يقبلوا أوراقه للسفر أو لا يقبلوا...ملأها الأمل...تحسست جيبها الفارغ إلا من الدفء ثم دست يدها فيه طلبًا للشمس الغائبة...وهو على المقهى القريب يرقبها...لوَّح لها بيديه فلوَّحت له...ابتسم فابتسمت... اقترب فرجعت للوراء خطوتين هما ما سمح لها بهم مكانها الطابور...كان عجوز الملامح لكنه كان رياضي الجسد والمشية...

- غدًا لناظره قريب يا ابنتي...تبدين في حالة مزرية.
- هو اليوم الثالث لي...كل يوم ينتهي الوقت ولا يصيبني الدور...بقى يومان فقط...
- ما اسمك؟
- نوار...ونوار تشكر اهتمامك يا والدي...
- لديَّ عرض لكَ يا نوار...لكن من المؤكد أنه ليس هنا في الطابور...

- ولكن...

- لو جذبتك من يدك الآن وأنا في سني هذه هل ستتهمينني بالتحرش؟

- لا سمح الله يا والدي...

- ماذا ستخسرين؟ بقي يومان...دعي هذه الأرض تهبك الفرصة الأخيرة...ودعيني أرتاح من المطر الذي بلَّل ملابسي...

فكرت مليًّا...هذا الرجل يجيد جرَّها لدائرة الثقة به... وهو ذكي بما يكفي لأن يجعلها تشعر بأنه يقف في المطر من أجل فتاة لا يعرفها وعرض يعرفه...جعلها بلا شك تتوَّق لفض مظروف خطابه...طلبت منه أن لا يبتعدا عن الطابور كثيرًا...حتى إن لم يصبها الدور فهي لا تريد أن يصيبها أمر تجهله من رجل تجهله...تقبَّل عدم ثقتها فيه بسهولة...انتحيا جانبًا حيث تظلُّ رأسيهما شرفة منزل قديم...صمت طويلاً وهو يتأملها...جميلة ويائسة...قالت في عجل:

- إليَّ عرضك يا والدي؟

- من حقك التعجل لكن من حقي السؤال...لماذا تريدين

السـفر؟

- جئت من أجل العرض وليس السؤال...هذا اتفاقنا...
- والرد يُلائم إجابة معينة...
- ولماذا أبقى ؟ لا عمل لديَّ ولا أسرة...لا مستقبل أراه في الأفق...
- يمكنني تعديل المستقبل...أريد فتاة تتذوق الطعام... وسأعطيك راتبًا شهريًّا يوازي ذلك الذي تطمحين للحصول عليه من وراء العمل في وظيفة جيدة بالبلد الذي ستسافرين إليه...
- ماذا؟ هل تمزح؟ لا أملك مالاً لكنني أملك عقلاً...
- ولهذا أعرض عليك هذا العرض...أنا أملك الطعام لكنني لا أملك القدرة على تذوقه...لن أنكر أن جمالك له اليد العليا في الأمر، وأن فكرة أن أراقبك وأنت تتذوقين الطعام أمام رجل حُرِم من حاسة التذوق ستجعل الطعام موصولاً بمن تأكله...أريدك فقط أن تستمتعي بالطعام لأشعر به...أريد أن آكل...

صمتت طويلاً...فهذا الرجل مجنون فعلاً...همَّت بالرحيل دون أن تعقب وتحركت بضع خطوات بعيدًا عنه...راقبها في حزن ولم يقترب...ابتعدت أكثر...فولَّى ظهره راحلاً...انضمت للطابور مجددًا...كانت الأخيرة هذه المرة...أدركت أنها لن تصل أبدًا اليوم...سمع صوتها خلف خطواته (يا والدي...يا والدي) دبَّ في قلبه الأمل من جديد...وحرك لسانه داخل فمه في سعادة... قالت في حيوية تناقضت مع المطر على ملامح وجهها الخالي من المساحيق: (لنجرب الليلة)

نجح الأمر جدًّا...كان يراقبها في هدوء وهي تأكل حتى يستثيره اكتمال جمالها مع الطعام فيبدأ في مشاركتها الطعام الذي تحب...استاءت في البداية...شعرت أنها قطعة خضروات يُزينون بها أطباق اللحوم الدسمة ثم يأكلونها بعد الفراغ من طعامهم على سبيل (المَزَّة) لكنها اندمجت في حكايات طويلة تقصها له...ومع الوقت اعتاد كلاهما على ثرثرتها...

أخبرت كل من تعرف أنها جليسة رجل عجوز ولم تخبر أحدًا أبدًا أنها تتذوق طعامه...حتى وقعت في حب سكرتيره الشاب.. .كان أول ما طلبه منها هو أن تترك تلك الوظيفة الغريبة... لكنها تركت السكرتير...من قال أنها وحدها تساعد الرجل على تذوق العالم! كانت تُردد كثيرًا: (غدًا يصبح العالم أجمل كلما تناولنا منه المزيد)...

●●●

الفأر ثم الثعلب

بدا الطريق طويلاً جدًّا لمنزلها...فقدت كل هدوئها...صدمت السيارة الواقفة أمامها في صف السيارات التي تنتظر اخضرار إشارة المرور صدمة خفيفة سريعة...ثم صدمتها ثانية ثم ثالثة... ترجّل السائق...سيارة باهظة الثمن وسائق هادئ اللهجة رغم انزعاجه... لكنها كانت غاضبة جدًّا...تصرخ جدًّا وتتهمه بالغباء...حاول تهدئتها لكنها ألقت في وجهه ببطاقة بياناتها الشخصية وعادت دون استئذان ليتحرك الصف المنتظر منذ وقت طويل...أما هو فقال: (لن أترك حقي) صرخت: (ومن قال اتركه! ألا تفهم؟).

لم ينتظر البواب أن يتلقَّى كل هذا السيل من السباب...لكنه آثر الصمت لأنه شعر أنها على وشك طرده...تلقَّى باب المصعد أربع خبطات عنيفة لأنها لم تتمكن من فتحه من المرة الأولى... وكذا باب الشقة...هي داخل شقتها أخيرًا...لكنها سألت نفسها في دهشة: (لماذا أردت أن آتي إلى هنا سريعًا؟ ليس هنا سوى الفراغ والمزيد من الوضوح في تذكره!) صرخت: (نذل...جبان... توقع أنه يرفعني كي يملكني...يُرقيني كي يقتلني في قمة البرج... أنا من صنعت نجاحي...أنا مديرة إدارة التسويق لأنني أستحق... كيف يقول: «أنا صنعتك ومن حقي أن ألغيكِ» نذل).

فجأة أصبح كل شيء أكثر وضوحًا من النافذة...كل زوج يُحمِّل زوجته أثقال المشتريات والأطفال ويسير متقدمًا إياها بخطوة رغم أنها دفعت ثمن نصف ما تحمل كاملاً! وكل القطط الجائعة تموء بخضوع تحت أقدام المارة...وبائع (حمص الشام) يقف أمام عربته يبتسم بهدوء كأنه ينتظر أن يموت الجميع ويصبح العالم عربته من فرط تعبه...

قادتها قدماها للمرسم...أغرقت لوحة وحيدة رسمتها له بكوب ماء مختلط بمخلفات تنظيف الفرش...لم تكن اللوحة قد جفت بعد...أخذت ملامحه تتشوه تدريجيًّا في طاعة لأناملها الغاضبة لكن أصابعها جفَّت عند عينه اليسرى...ظلت عينه ترمقها في تشفٍّ غريب...مزقت الاسكتش في عصبية: (سأكسرك...سأقتلك...) خرجت صارخة بملابسها الوردية الملوثة وخصلات شعرها الندية بألوان الطيف الغير واضحة...

لم تدخل غرفة نومها قط...خافت من أفكار أودعتها فيها... كان البيت خاليًا من كل أحد فهو يوم أجازة الخادمة...تعيش وحدها في القاهرة كي تحقق ذاتها كامرأة ناجحة...لكنها ضلَّت الباب الصحيح للنجاح...وبعد كل هذا التعب في صعود درجات كثيرة وجدته خلفها يريد الإطاحة بها من القمة...صرخت حتى سمعت جرس بابها...كانت جارتها تسأل عن الخطب الذي يجعلها

تصرخ منذ ساعتين...انهارت فجأة...أطاعت الجارة بهدوء... انتقلت منهارة لشقة جارتها...كل شيء منظم وهادئ عدا صوت انفجار في نشرة أخبار التليفزيون...أعدت لها بعضًا من عصير الليمون...لم تتوقف عن البكاء وتكرار كلمتين: (سأقتلك...نذل)...

ضحكت جارتها فجأة...أدهشتها فكفت عن البكاء...قالت:

- مم تضحكين؟
- على ما تبكين عليه...
- أعلم قصتك مع مراد...وصدقي امرأة مُطلَّقة حين تخبركِ عن الرجال...الرجل الذي يوصل امرأة لمكان تريده كي يصل هو إليها لا يفعل شيئًا بعد ذلك...
- هددني وكتب أوراقًا تدينني في إهمال جسيم...وأنا أحتاج ملف عمل نظيف...
- لن يفعل شيئًا...الرجال الذين يؤذون يؤذون من البداية... في علاقتهم بالنساء إما أن يكون الأخذ أو العطاء...لا توجد حلول وسطية بين الأخذ والعطاء ولا تحول من أحدهما للآخر...الأمر الوحيد الذي يؤذيكِ هو إن كنتِ أحببتيه...

صمتت للحظة...حقًّا هي لا تعرف إن كانت أحبَّته...لكنها اعتمدت عليه في كل شيء حتى الآن...بدت مشوشة جدًّا...قالت جارتها وهي تقدم لها كأس الليمون:

- هو لن يؤذيكِ وأنتِ لم تحبيه...كلاكما أفعى تمرَّنت على صيد الآخر كفأر تمهيدًا لصيد ثعلب سمين كما قال ديكنز.
- غريب أن كلامك يريحني في وقت يجب أن لا أرتاح فيه لهذا الكلام.
- لا تسألي...لكن لا تغلقي هاتفك الليلة وإياكِ أن تبكِ حين يتصل بكِ...
- هل يمكنني أن أقضي الليلة معكِ؟
- يمكنك طبعًا...فالأفاعي من ذات الفصيلة لا تأكل بعضها وربما تتشارك المأوى...

●●●

مذكرات العائلة

بعض الصباحات يكون استثنائيًّا إلى حد تغيير حياتك كلها...وكأن الشمس أشرقت عليك وحدك وقررت أن تمارس عليك طقوسًا مختلفة عن تلك التي تمارسها كل يوم مع سواك... وهذا ما حدث مع سعيد الخشاب حين استيقظ على تليفون من سكرتير والده: (والدك سيوقع عقد نشر مذكراته غدًا) يبدو الأمر مختلفًا حين تشعر أن جزءًا لا تعلمه من حياتك أصبح مِلكًا لكل الناس...سيعرفون متى ولدت وكيف كبرت ومتى كذبت لأول مرة ومتى ارتكبت أول أخطائك وكيف حققت أول نجاح بذلت الكثير كي تحميه من عيون الحاسدين وأي أبنائك أحب إليك... ولكن سعيد هز رأسه في عنف يمينًا ويسارًا محاولاً طرد الفكرة من رأسه...فلعل والده كتب عن نفسه فقط ولم يتطرق له ولإخوته إلا بما لا يضر ولا يسيء...أحست زوجته بتقلباته الزائدة عن المألوف في الفراش...سألته: (هل أنت بخير؟) لكنه بدلاً من إجابتها اتصل بأخته سُميَّة: (أبوكِ سيوقع عقد نشر مذكراته).

اتصلت أخته بأخيها مراد...وسادت حالة من الحيرة والذعر بين الإخوة الثلاثة...أخيرًا قرروا أن يجتمعوا في منزل والدهم... هو لا يستطيع أن يفعل الكثير وهو طريح الفراش ينتظر الموت

كل يوم منذ حوالي الشهر...عاجز عن الحركة دائمًا وعاجز عن الكلام في معظم الأوقات... وصلت سُميَّة أولاً...طلبت من الخادمة فنجانًا من الشاي...وأخذت تطالع مجموعة من صور أفراد عائلتها الراقية المعروفة على الحائط المقابل لباب الفيلا الرئيسي...كانت أمها جميلة... ماتت شابة...لطالما كان أبوها حنونًا فعوضهم عن غياب الأم...لم يشعروا أبدًا أن عمله في شركة المقاولات يأخذه منهم...في حفلات عشاء العمل كل أسبوع علَّمهم أن يكتبوا ما يريدون قوله له قبل أن يخلدوا للنوم...حين يصحون صباحًا تكون المشكلة انتهت...لذا كان كلٌّ من أبنائه يملك دفترًا يسجل فيه كل ما يضايقه فيرتاح حين يصحو...لم يكن أحدهم يشك أن الوالد يقرأ ما يكتبون فيبادر بحل مشكلاتهم التي كانت بسيطة بقدر بساطة نظرتهم للحياة...فظنوا أن كتابة المشكلة ينقلها من حياتهم للورق فتبتعد عنهم...ابتسمت سُميَّة بهدوء...وتنهدت بعمق... تحسست دفترًا صغيرًا في حقيبة يدها أخرجته...يحتضن الدفتر دائمًا قلمًا صغيرًا كتبت: (أنا في مشكلة...أخاف من مواجهة العالم عندما يعرف عني أكثر مما أريد...لا أعرف ماذا كتب أبي في مذكراته ولن أرتاح حتى أعرف وأطمئن).

وصل أخويها...كان الأب تحت تأثير منوم قوي...قرروا الانتظار...حضر السكرتير...سأله سعيد:

- من كتب المذكرات؟ الرجل مريض مرض الموت لا يمكنه الكتابة...

- كان يمليني كل يوم جزءًا...ولم أكن أظن أنه ينوي نشرها...لذا اتصلت بكِ حين عرفت أن الأمور خرجت عن مجرد الفضفضة لاحتمال فضيحة...

- فضيحة!!!! ماذا كتب عنَّا الرجل!

- كتمت أخته صرختها بيدها بقوة فتلطخ خدها الأيسر بأحمر الشفاه الراقد على فمها...وقال مراد أخوه في حدة:

- ما الذي يخيفك من أن يكتب أبوك عنك؟ماذا فعلت يا أستاذ؟

- لا شيء أنا رجل شريف...

- قال السكرتير بحسم:

- خرج الأمر عن محاولات التجمل يا أستاذ سعيد...عليهم أن يعرفوا ماذا فعلت...ليس من العدل إخفاء ما يخص الآخرين.

- اصمت يا حضرة السكرتير...فالوحيد الذي لا يخصه الأمر هنا هو أنت...ما الذي يبقيك هنا؟

obeikandl.com

حينها صرخت سمية في وجه سعيد: (سيبقى وسنعلم...الأمر لا يحتمل تصرفات سعيد الطفل المدلل الذي لا يكبر أبدًا...ماذا كتب أبي في مذكراته؟) قال السكرتير بصوت منخفض متردد: (كتب أن الأمر لو كان بيده لحرم الأستاذ سعيد من ثلث ثروته... لولا أنه خاف أن يحرك عداوة إخوته ضده...هو زوَّر توقيع والده أكثر من مرة وسرق ما يقارب ثلث رصيد الأب في البنك عام ٢٠٠٧ م...بنى من المال المسروق شركته للاستيراد والتصدير).

صاح مراد: (أهلاً بك...وكنت تريد أن يرحل السكرتير كي تواصل سرقتنا! على جثتي أن تواصل استغفالنا...كل حق سيعود مع أرباحه) بينما أخذت الصدمة كل قدرة لسُميَّة على الكلام، قال سعيد بوقاحة: (لا أظن أن الشياطين تربطها علاقة دم بالملائكة... أنت لست ملاكًا يا مراد) حينها قال السكرتير بثقة أكبر: (كتب أبوك أنه لا يثق بك أبدًا...ولن يسمح لكَ قط بالعمل معه حتى أنه حرص على أن تسافر للعمل بعيدًا عن العائلة فترة طويلة حتى لا تفكر في إيذاء أي من إخوتك؛ بعد أن أخبرت ابنة صديقه أن أخاك يكره الزواج؛ وخطفتها من دفتر مذكراته لدفتر المأذون، ثم واصلت إبعاد كل من تعرف من الشباب عن أختك؛ حتى تقل فرصها في الزواج من طرفك على الأقل).

قالت سُميَّة بغيظ وعنف: (أيها النذلان...كيف خدعتماني طوال الوقت؟) ودون دعوة للحديث تدخل السكرتير: (تحدث أبوكِ كثيرًا عنك يا مدام سُميَّة...تحدث عن محاولاتك لإيهامه بأن ولديه الذكرين يخططان لقتله حتى أنه أوصى في وصيته الرسمية أن تُشرَّح جثته بعد وفاته...كان مندهشًا طوال الوقت لأنه توقف عن حبك رغم أنك تواصلين تذكيره بأنكِ الشخص الوحيد الذي يحبه ولا يريد قتله...في الفترة الأخيرة ظن أنكِ من يقتله فعلاً لأنكِ شريرة).

اشتبك الثلاثة في شجار...علت أصواتهم...ثم طالت أياديهم وراحوا يضربون بعضهم بعضًا جميعًا في ذات الوقت...مرَّ خادمان يحملان التسريحة التي كانت في غرفة أبيهم...صرخ سعيد فيهم: (كيف تجرُءُون على الدخول علينا دون إذن؟) توقفا عن السير فجأة وأنزلا التسريحة أرضًا...قال أطولهم: (الباشا طلب منا أن نخرج التسريحة لأنه لا يريد رؤية وجهه المريض حين يصحو).

نظر ثلاثتهم في المرآة...هالَهُم ما رأوا...ظهرت حقيقتهم أمامهم بوضوح...عندها دخل السكرتير باكيًا: (مات أبوكم... المذكرات أصبحت بلا كاتب).

مـرت أيـام العـزاء بهـدوء وأناقـة كعـادة كل العائـلات العريقـة الثرية...وبعـد العـزاء بحثوا عـن المذكـرات دون فائدة...ومضـت أربعة أشـهر ظنـوا فيهـا أن فكـرة المذكـرات وَهْـم أراد بـه والدهـم أن يكـون عقابًـا عـادلاً لهـم علـى مـا فعلوا...لكـن الكتـاب المطبـوع ظهـر وعليـه اسـم أبيهـم ثلاثيًّـا... وعلمـوا أنـه وقَّـع عقـد النشـر قبـل موتـه...لاذوا بالصمـت حتـى تمـر العاصفة...فلطالمـا كان يقـول لهـم في حياتـه: (لا تخلقـوا أنيابًـا لأخطائكـم بالظهـور إلـى جوارهـا).

لـم يفكـر أحدهـم أبـدًا في سـبب ظهـور السـكرتير بصحبـة المذكـرات أكثـر مـن مـرة إعلاميًّا...ولـم يعـرف أحدهـم أبدًا أن الناشـر لـم يلتـقِ بأبيهـم وأن أباهـم لـم يكتـب مذكراتـه مـن الأسـاس ولكنـه وظَّـف سـكرتيرًا سـرق دفاتـر مذكراتهـم وباعها...حـين ملكهـم الخـوف لـم يـروا الحقائق...وحـين هربـوا مـن العدالـة أتـت هـي إليهـم...

●●●

الأُمَرَا

فاجأه أن سيدة أنيقة مثلها تنام على الرصيف وقد كورت جسدها حول حقيبتها في استغراق شديد...تقدم منها...كانت بدلتها السوداء ذات النسيج الحريري الفاخر تشي بأنها من طبقة راقية...أقبل عليها...بدا وجهها شاحبًا جدًّا...حاول إيقاظها بكلمات هادئة: (سيدتي...لو سمحتِ... سيدتي...من فضلك) لكنها لم تحرك ساكنًا...بدأ الأمر يصبح أكثر درامية...حاول أن يلمس كتفها محاولاً التأكد من أنها على ما يرام...لكنها أيضًا لم تظهر أي رد فعل...ولم تُجدِ كذلك كل محاولاته لإفاقتها...لذا اتصل بالإسعاف...

أخبروه في المستشفى أنها مصابة بحالة هبوط حاد...لم تأكل ولم تنل أي قسط من الراحة منذ أيام...وفي اليوم التالي عاد لها قبل أن يذهب لقسم الشرطة حيث يعمل...دخل عليها بملابسه الرسمية وهو ذلك الرجل الطويل الأربعيني...فتهيَّبته...يعرف هذه النظرة في وجوههم قبل أن يبدأ في استجوابهم جميعًا...طمأنها:

- كيف أنتِ اليوم؟ أنا من حَملكِ إلى هنا بالأمس...
- الحمد لله أنا بخير...ذلك الخير الذي تعرفونه...

- ولماذا لا تعرفينه أنتِ؟

صمتت وتنهدت بعمق...اقترب منها قليلاً...قال:

- لا أعلم ما قصتك...لكنكِ لست من النوع الذي ينام على الرصيف...وسامحيني المبلغ الذي وجدوه في حقيبتك وكارت الفيزا والماستر تجعل مما رأيتكِ عليه أمرًا لا منطقي...سأبسط الأمر أكثر...يمكنك الاعتماد عليَّ... أنا ضابط شرطة قديم ويمكنني أن أساعدك فعلاً...

صمتت ثم بدأت في الكلام رويدًا رويدًا...فقدت ابنها منذ ست سنوات وكان عمره تسع سنوات...رأته منذ ثلاثة أيام في الشارع الذي افترشت رصيفه...لم تعد لمنزلها منذ رأته ولم تفارق هذا الرصيف منذ رأته...سألها:

- ربما لم يكن هو...ست سنوات كفيلة بتغيير ملامحه كليًّا...كيف عرفتِ أنه هو؟

- بعضنا لا تتغير ملامحه منذ الطفولة المبكرة كثيرًا...

ثم دفعت إليه بصورة ابنها...رجع بظهره للوراء...بدت على وجهه أمارات الدهشة ثم قال بهدوء:

- إنه أمير...

- لكن اسمه ليس أمير...

- أصبح اسمه أمير...هو أحد «الأُمرا» الآن...

- «أُمرا»؟!!!

- ابنك اختار حياة غريبة بالنسبة لنا يا سيدتي...لكنها ترضيه...

- اختار؟ وهل يختار ابن ١٤ سنة لون ملابسه بكفاءة حتى؟

- أنا أعمل في قسم الشرطة الذي يتبع له هذا الشارع... أعرف «الأمرا» جيدًا...ولا أعرف ماذا يجب أن أفعل لهم في الحقيقة...أمرهم يحيرني...

- أنا لا تهمني حيرتك بقدر ما يهمني أن أعرف ما حدث لابني...أريده جدًا...

صمت قليلاً...كان يحتاج لسحب نفس من سيجارة لكنه فوجئ بأنه في مستشفى...فزفر زفرة طويلة وشرع يخبرها عن الأمرا...ثم شرع يقص القصة:

- منذ حوالي ست سنوات قام أحد زعماء عصابات تشغيل الأطفال في التسول بضرب فتى من فتيانه يُسمَّى «أمير» - عمره ١٢ عامًا - ولكن الفتى تمكن من ضربه بمطرقة

حديدية وهرب...حاول رجال العصابة العثور عليه عبثًا لفترة طويلة...ثم ظهر أمير مرة أخرى بعد القبض على العصابة ومعه مجموعة من الأطفال أصغر منه كل منهم يدعى «أمير» أو هكذا يخبرون العالم لذا فهم «الأمرا» هم لا يؤذون أحدًا...فقط يأكلون من مطاعم المنطقة مجانًا ويحمون بعضهم بالقوة التي يستطيع كل منهم تقديمها... بعد فترة طويلة من الضياع شعر هؤلاء الأطفال بأنهم أقوياء وأنهم «الأمرا» فكرت كثيرًا في القبض على أميرهم لكن حظهم الغريب أو ربما الخوف منهم...يجعل كل أهل الشارع يرفضون الاعتراف عليهم...

- هل يمكنني أن أرى ابني؟

- سأفعل ما بوسعي...لكن عليكِ أن تكوني جاهزة لكل ردود الأفعال...قد لا يرغب في العودة إليكِ..عندها سأكون رهن أمرك فيما تريدين...

بالفعل استطاع الضابط أن يصل لابنها...و أوصل إليه عن طريق طفل متسول بالمنطقة أن والدته عرفته وأنها تنتظره في المستشفى لأنها مريضة جدًّا وتتوَّق للقائه...استيقظت صباح اليوم التالي لتجده فجأة أمامها...يقف إلى جوار سريرها...يحدق في ملامحها...هي أيضًا لم تفعل سوى التحديق به لفترة ثم جذبته

إليها في قوة وعانقته باكية...أما هو فكان صامتًا لكنه لم يرفض عناقها...

تحدثت معه طويلاً...أخبرته عن سعادتها وخططها لحياتها معه...هي لم تعد وحيدة لاسيما أنه يذكرها ويحبها...كان صامتًا معظم الوقت...تناولا الغداء معًا...وفي المساء وهي تنام على كتفه سألته:

- أنا سعيدة أنك عدت لي...
- سأزورك غدًا...
- ولماذا سترحل؟
- لا يمكنني أن لا أكون «أميرًا» أنا صاحب كلمة...من يحمينا لو رحلنا؟
- يمكنني إبقاؤك بالقوة...
- ويمكنني الهروب بلا عودة...
- ستعود؟
- سأعود...كل يوم...
- وهل ستبقى ذات يوم؟

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

يوميات إكسبرسو

كان هو المُفضل بين كل أقرانه...يرقد في منتصف الرف الثالث...ما إن يبدأ الزبائن بالتوافد حتى تهرول له يد صاحب المحل...يجمل أطرافه ببعض السكر الرطب...فيبدأ الصباح الحلو بالنسبة لفنجان الإكسبرسو...

عادةً ما يكون أول زبون هو شخص يستيقظ مبكرًا حتى يستطيع أن يكون هنا في السابعة والنصف صباحًا...ولا شك أن هذا يجعله حاد المزاج قليلاً وعمليًّا...يكره الفنجان هؤلاء الأشخاص لأنهم غالبًا ما يعضُّون على حوافه ويلعقون السكر ويتركونه عاريًا بلا زينة...هذا الصباح كانت امرأة...جلبت معها حذاء تريد إبداله من محل مجاور حالمًا يفتح أبوابه...ولأنك تعطى القهوة سرَّك مع أول رشفة فقد عرف الفنجان أنها تتأنق من أجل حفل تقاعدها...كانت حزينة رغم أنها بدت جميلة بعد جلسات تجميل عدة...حتى أنَّ شفتيها كانتا ناعمتين جدًّا وهما يمران على فتافيت السكر على حوافه فلم يزعجه تعريته...ورغم حزنها على ركض السنين إلا أنها فجأة أخذت تفكر في زوجها... كيف لم يلاحظ التغيير على وجهها...حتى أن حُقَن الـ (الفيلرز) لم تنجح في اصطياد نظرة دهشة منه...لأول مرة يتذوق طعم

دمعة بشرية واحدة وحارة...لم يكن يظن أن الدمعات البراقات اللامعات لهن طعم مالح وسيئ...وهى لم تلاحظ بعض فقاقيع استياء ظهرت على سطح الفنجان...

الماء الجاري أزال الملوحة عنه...ومرة أخرى تَزيَّن بفتافيت السكر...هذه المرة كان شاب يستذكر بعض الدروس...يقضي في المقهى آخر ساعة قبل التقدم لمقابلة رسمية أملاً في أن يصبح مُلحقًا إعلاميًّا بالخارجية المصرية...وما إن مر على قانون العمل الداخلي بالأمم المتحدة حتى شرد...تذكر كل ما يحدث حوله... الأطفال تحت حصار السلاح والمجاعة في كل مكان...النساء يمُتنَ شهداء الحصول على ورقة وقلم...الرجال بلا حقوق يعملون حتى المرض...منذ سنوات عاد والده من الكويت سيرًا على رمال الصحراء الحارة...وحتى اليوم لم تستطع الأمم المتحدة أن تفسر له ما حدث ولا ما يحدث...لفَظَ الفنجان بعضًا من قهوته على قميص الشاب الشاهق البياض...هرع منزعجًا لتنظيفه... الخارجية لا تقبل بأقل من البياض الشاهق...واستراح الفنجان من الأفكار الكئيبة...

تزين الفنجان للمرة الثالثة...من أجل طفلة...صممت أن تشرب القهوة كوالدها...تقضي يوم الخميس والجمعة معه... يفسدها بدَلالِه منذ طلَّق والدتها...أنت تفكر في المقعد الخالي...

سألته: (هل يمكن أن تأتي ماما معنا المرة القادمة؟ هناك مقعد إضافي) ابتسم وعانقها وخبَّأ حبًّا عميقًا في أوراق جريدة دفن فيها وجهه...

حل المساء...كان نصيب الفنجان ثلاث مرات هذا اليوم فقط وهو أمر لا يحدث إلا نادرًا ... أقبلت (ليلى) نادلة الوردية المسائية الحسناء الجديدة التي لا تجيد أي شيء في حياتها سوى المشي بتكسر...سقط الفنجان مفلوقًا من قلبه...فجأة أصاب الزبائن حالة هلع...ركض بعضهم صارخًا هاربًا من المقهى...

ما إن لامس الفنجان الأرض وانقسم حتى أخذ يحكي بصوت يشبه صوت كل زبون أفكار الزبائن...وصاحب المحل يُبعِد ليلى بجذبها من يدها...لأنها وقفت مصدومة كعادة ذكائها المحدودة... أقبل على الفنجان...شعر بأنه يبكي...هو فنجان تاريخي مفضل متوارث أبًا عن جد...

هذه الليلة كانت ليلة رحيل فنجان الإكسبرسو...وليلة تحقيق أحلام اليوم الأخير...طاف صاحب المحل على الزبائن الذين يعرفهم...حكى لهم أمنياتهم وتركهم متأثرين يحاولون التواصل بحق هذه المرة...

●●●

obeikandl.com

جبران والآنسة (لا)

خفض صوت التليفزيون محاولاً تجاهل إعلان المذيع عن يوم حار غداً...وجوه الفتيات تتحرك أمامه برشاقة وخفة على شاشة الكمبيوتر...تتقافز رسائلهن على شريط الدردشة أسفل موقع التواصل الاجتماعي...لكن لا رغبة به للحديث مع أي منهن... كُنَّ كثيرات على نحو ملحوظ...ربما أكثر من كل ليلة...كأنَّ الحرارة تقودهن إليه...معظمهن مواطناته...هو لا يميل لمصادقة الغريبات...ليس من العدل أن تجهد ذاتك في معرفة شخص ستظل طوال الوقت غير قادر على التفكير في إمكانية الوصول إليه...ببساطة لا يملك مالاً للسفر ولا لتأمين خط إنترنت مستقل عن (محل الكمبيوتر) تحت بيته الذي يوصل الخدمة لعشرين شخصاً...يصعب إجراء اتصالات منتظمة بهذه الخدمة البطيئة جداً والمتقطعة جداً...وبالرغم من كل ذلك لفت نظره جملة استهلت بها الحديث (لا)...لم تقل سوى (لا)...

وجد نفسه يسألها:

- (لا)؟ لماذا (لا)؟
- قالت أرسلتها بطريق الخطأ لكنني أحب كلمة (لا)...

كانت فاتحة الخير عليَّ في مناسبات كثيرة...كلما قلت (لا) في بداية عمل حصلت عليه.

- وماذا تعملين يا مدام (لا)؟
- تعديل بسيط...أنا الآنسة (لا)...أعمل كوافيره من منازلهم...كلما قلت لعميلة (لا) يعجبني مظهرك سأغيره تقبل استخدامي وتعطيني بقشيشًا جيدًا...أنا ألون وجوههم بسلطان (لا).
- هل لو طلبت منك أن نتحدث قليلاً ستقولين (لا)؟
- نعم...كي تصر أكثر على محادثتي...
- الأمر بيدك آنسة (لا).

لم يسألها عن اسمها...فضل أن يسميها الآنسة (لا) كما سبق وأسمى مصطفى أمين فتاته... وراقها الأمر كثيرًا لأنها تتفاءل بهذه الكلمة...ولم يزعجه - أمام شخصيتها وعشقها الشديد للألوان وثقافتها المفاجئة بمدارس الفن الكلاسيكية والمحدثة - أنها تحدثه من حي الفنار المتواضع في بيروت بينما هو يسكن شقة صغيرة في حي القلعة المصري...ولا أمل في أن يزور أحدهما الآخر في المستقبل القريب...هو يراجع لُغويًّا نصوص عربية لكُتَّاب

مغمورين... يحيا بصعوبة لكنه يفعل ما يحب كشاعر لم يقرأ له أحد...

أدركا بسرعة أن روحيهما متشابهتان جدًّا...ربما لأن كليهما وحيد..يشعر بجمال الحياة رغم القسوة وكأنه يتقن مصادقة الألم ويحترف مصاحبته حتى يختفي الشعور بالضيق...بدأ يكتب شعرًا فيها حين أهدته صورًا حديثة لها بـ (فستان) وردي من تصميمها على شاطئ البحر المتوسط...

بعد أحاديث يومية تمتد لساعات بدآ يخافان من هذا الارتباط القوي بينهما...وبدأت مساحات الحرية تقل في حياتيهما...عندما صار كل منهما يعتقد أنه يفعل كل شيء في حياته إما لكي يرضى عنه الأخر أو لا يغضب منه ضاقت عليهما الأفعال...بحثًا عن تفسير لما يحدث لهما... وقررا أن يفترقا لأن ما يحدث فوق قدرتهما على احتماله...مرَّت ثلاث ليالٍ لم ينم أحدهما أبدًا... في منتصف الليلة الثالثة جاءته رسالتها:

«أظنني سأنام بعد كتابة رسالتي هذه...أُدركُ أن أهلي أسموني (مي) لسبب مهم هو أنهم يعلمون أنني سأحبك يا (جبران) مهما حاولت الهرب منك...نم الآن فالحب يرعى من يعترف به»

كانت المرة الأولى التي يعرف فيها اسمها...واندهش جدًّا أنه جبران الذي أحب مي من جديد وبنفس الطريقة...لم يحاولا البعد مرة أخرى واستمرآ عذابات الأفعال الضيقة بفعل الحب بدون أمل لقاء...حتى تغيرت الصور على جدران توقعاتهما... الآنسة (لا) ستكون ماكيرة ممثلة لبنانية ناشئة حصلت على دور في فيلم تُصوَّر بعض مَشاهِدِه في القاهرة...سترى جبران بعد خمس سنوات من الحب المكتوب...وهو الشيء الوحيد الذي فكرت به رغم أن الأمر كان يمثل نجاحًا مهنيًّا كبيرًا لها...أما جبران فشعر بقلق شديد لدرجة أنه نام ٤٨ ساعة متواصلة دون سبب واضح...

وأخيرًا حضرت...كانت القاهرة جميلة جدًّا بتفاصيلها الكثيرة بالنسبة لمي...كانت التفاصيل أكثر مما توقعت لدرجة أن أول كلمة قالتها لجبران في أول اتصال هاتفي بينهما: (مدينتك تفاجئني مثلك)...اتفقا على اللقاء غدًّا في بئر كليوباترا الذي كانت تلقى أنطونيو سرًّا عنده بالقرب من أبي الهول...حيث كان تصوير الفيلم في اليوم الأول بالقرب من الهرم الأكبر... ذهبت مبكرة... كانت ترتدي ذات الـ (فستان) الوردي أمام المتوسط...رآها من بعيد...تشبه صورها جدًّا...لكنها عصرية أكثر مما كان يتوقع... تخيل أن الكتابة أعطت لإحساسه بها إيقاعًا أبطأ وأقدم...لم تكن تمسك في يدها لوحة مفاتيح...كانت واقعية تمامًا...ارتبك حين

رنَّ هاتفها بنغمة (مايكل جاكسون)...هذا أقسى مما تخيله...لكن فكرة أن هذا الجمال يمكن لمسه جعلته يحبس كلتا يديه في جيبي الجينز الأزرق القديم...اقترب فرأته...كان مختلفًا عن الصور... أكثر شحوبًا وأنحل جسدًا لكنه كان لطيف الابتسامة...شعرت ببعض الغرابة لكنها تجاوزتها سريعًا... ركضت نحوه...صافحته وقبلت خده الأيسر قبلة خاطفة...أما هو فلم يخرج يديه من جيبيه... تحدثا طويلاً محاولان كسر الجليد بينهما...وألقيا نقودًا معدنية في بئر كليوباترا وتمنَّى كل منهما سرًّا أن يجد ما يبحث عنه كاملاً...

كانا يلتقيان لثلاثة أيام قضتها في القاهرة كل يوم في ذات المكان يتحدثان ويلقيان النقود ويتمنيان...يفترقان على وعد باتصال هاتفي مسائي...لكن كل منهما كان يشعر بغربة عن الآخر عند اللقاء أو الحديث...وما أن يفترقا أو يغلقا خط الهاتف حتى يقتلهما الشوق للقاء أو حديث آخر...كان الأمر محيرًا جدًّا...لكن في المطار بدت الأمور فجأة واضحة جدًّا...ذهب لوداعها... وقفا أمام باب صالة المسافرين حيث يُمنع دخوله بعدها...قالت:

- سعدت بهذه الأيام الثلاثة جدًّا رغم غرابة ما يحدث.
- مي...كان يجب أن نتحدث قبل ذلك...ماذا بعد؟

- لا أعلم...أنا مرتبكة جدًّا بين صورتك وصورتك...

- أنا أيضًا...لكنني الآن وأمام هذا الباب الذي سيعيدك داخل شاشة الكمبيوتر ثانية لأجل لا أستطيع تسميته... أريدك هنا وللأبد...لديَّ استعداد للمخاطرة بأي شيء مقابل إغلاق هذا الباب...

تزوج جبران من مي في كنيسة قديمة في عمق القاهرة الجميلة...وعرفا أن كل ما نكتبه نفعله ولكنهما احتاجا لمزيد من الوقت كي يكتشفا أن أحلامهما تحققت...

●●●

obeikandl.com

الطريق للقمر

كانت (ليلات) جارية (الملك الكاسر) التي لا يرى ذاته في ضعفها...قوية ولا تُطيعه...جميلة شرقية...غامضة كصحراء العرب لكن مع الكثير من الواحات الوارفة الظلال...لها تكاوين تشبه نكهة الفراولة...لا يأتي سكرها إلا لاذعًا...لَدِنَة كقطعة من الجنة المطاطية...وعلى الرغم من أنه كان يتخلص من الجاريات ذوات العيون البُنِّية الصغيرة إلا أنه أبقى عليها لأنها في الواقع ملكته...لطالما ردد: (ذوات العيون البُنِّية الصغيرة لهن مكر الثعلب وعيونه) فالثعلب الوحيد الذي رآه كان بُنِّي العينين...

المَلِك حين يكون ظالمًا لا يحب رؤية الدم في فراشه...لذا كان يحب أن ينهي ليلته تحت قدميها...ومع ذلك لم تستطع أن تشعر بالانتصار ولا أن تستخدم مفاتيحه لدخول المجد...ولم يلفت نظرها إلا (آغور).

لكل ملكية طريقتها...وهذه الملكية تستعبد للنهاية...مخازن الطعام وبعض خزائن المال والجواهر تقبع في قبو القصر... يعشق الملك الكاسر التحرك مع الجواري والخدم لتفقد الجواهر والهدايا وكأنه يريد أن يستمد القوة من ضعفهم...يضحك وهو يتجرع بعض النبيذ في كأسه الذهبي المجوهر...وينتشي حتى النوم

بصحبة الجارية (ذهب) التي سماها بهذا الاسم تيمنًا بخزائن الجواهر...ولم تكن (ليال) تتوقع أن تحتل مكانة (ذهب) في الجولة الرابعة حين ارتدت تاجًا من الياقوت...قال الكاسر:

- أنا لا أسمح لكنّ بلمس الجواهر...لا يلمس الشيء إلا من كان من جنسه...
- ليس لي أنا جلالتك...

حينها اقتربت منه فأشار لها بالابتعاد وكرر أمره بأن تخلع التاج...لكنها واصلت الاقتراب... حتى ناله من عطرها وشعرها ما ينال المقترب من زغب الريش الناعم قبل لمسه...ثم خطفت الكأس من يد (ذهب) وقدمته للملك...حينها خرج الجميع وبقيت (ليال) وعبد الحراسة (آغور) مع الملك...

تكررت الجولات...وبدأ (آغور) يعتاد على عطايا (ليال) عبد أسود شاب...طويل قوي الجسد...من عائلة لا يُسمح لأفرادها بترك القبو...تقضي تقاليد الحراسة أن لا يخرج الحارس ولا عائلته أبدًا من معية ما يحرسون حتى لا يعرف أحد شيئًا عما يحرسون...(آغور) يسمع عن القمر...ويعرف الأشجار والأزهار في ابتسامات نقوش الذهب والياقوت...ولا يعلم من الطرق إلا دبيب أخفاف الماشين بجوار فجوة مجهرية الرؤية في حائط القبو...ولا

ينير حياته إلا شُعَل مصابيح النار على حوائط الملك التي يأمر بإطفائها أحيانًا بلا سبب معلوم...حياته كانت كحياة برغوث في جيب الكاسر المخملي...ورأت فيه الجارية الحسناء ذات العيون البُنِّية الصغيرة ضالتها...حين عرفت كيف تزيد دقات قلبه فقط عند سماع حرف اللام...

كل حارس يراقبه عبد يهودي...يمرّ على رأس الساعة...ولأن الملك يعرف أن اليهود لا يخونون أموالهم أبدًا؛ فكان هذا أول ما تعلمته الجارية عن (شِنار) الذي فتح لها باب قضاء أوقات أكبر مع (آغور) ولم يكن غريبًا أن يقع في حبائل كلماتها عن العالم الجميل حتى صار العاشق محكومًا بخصلة شعر أسود...وفي أحد المساءات...أحضرت له بعض النبيذ الملكي وثلاث تفاحات خضراوات...كانت كنزًا بالنسبة لعبد يُمنع عليه شرب الخمر وتناول الفاكهة... قالت له:

- ألم ترغب أبدًا في زيارة العالم الحقيقي؟
- اكتفت منه بأخباره...ما حاجتي به إن كنت سأظل مرتبطًا بالقبو!
- الجمال لا مالك له...كلنا مثلاً يملك ضوء القمر...
- «بعض النساء جميلات كقمر» جملة يرددها الكثيرون...

فهل تُشبهين القمر يا (ليال).

- لماذا لا تقرر بنفسك؟ دع (شِنار) يفتح لنا الطريق...

- سيقتلونني...

- ليس إن ادَّعيت أنت الجنون...حينها تصبح مجنونًا ويخافون مني لأني مس شيطاني أصابك...كان الكاسر بالأمس يحكي لي عن عائلة من السحرة غادرت إلى الصحراء لأنهم يمارسون هذا المس...يمكنني أن أتصرف مثلهم كأنني من علَّمهم...فالوقت مناسب لذلك...

- ليال... الجمال ليس فقط تحت القمر...

- وما أدراك ؟ أنا أريد حريتي...فهذا الملك ما عاد يُشبعني...يظل قلبي يراوغ بين جسدي وجسده كل ليلة... وفي الصباح أكتب رسائل للّه وأبكي...أراني قبيحة جدًّا في مرآتي حتى أنظر لصورتي في عينيك (آغور).

استطاعت أن تمس عقله بالشغف...فمن كان ابنًا للأرض لا يرضى بجزء من أمه أبدًا...

وقف متسمرًا أمام باب القصر...جذبته بكل قوتها...لا بد أن يتحركا حتى ميدان السوق...هناك يرى الجميع ماذا حلَّ به

وتتابع تنفيذ الخطة بممارسة طقوسها المصطنعة حوله...لكنه لم يتحرك...كانت المدينة خالية إلا من سلطان النوم يستخدم الظلام كصولجان...ورائحة شجيرات التمر حنة تشوش حواس (آغور) المتقطع الأوصال حرفيًّا بين كل شيء...تلخصت كل المأساة في أن للميلاد سن معينة...وأن الفُرَص لا تأتيك بل تذهب أنت إليها... فحين رفع رأسه للسماء ورأى القمر...خاف وارتعب...أصابته حالة من الضحك الهيستيري...نبَّهت حراس القصر...فاختفى (شِنار) مغادرًا للأبد بقطعة من الذهب تكفيه ليكون غنيًّا ما بقى حيًّا... أما (ليال) فضربت رأس (آغور) بجذع شجرة فسقط مغشيًّا عليه...جرَّته أرضًا معلقًا بسرج فرس حتى ميدان السوق...وهناك أكملت خطتها...

بعد أن غادرت البلاد أرسلت رسالة للملك: (أنت آمن طالما أن هناك من يخاف الحرية أكثر من خوفه منك).

ملحوظة: جميع الأحداث والشخصيات خيالية ولا صلة لها بالواقع ومستوحاة من بعض تقاليد عصر المماليك...

●●●

obeikandl.com

سيدي الحلِّي

كانت كل الأجواء رطبة لسبب غير واضح...الجميع يتعرق رغم أن يناير لم يخلف وعده وحمل ليلاً صاقعًا...ليلته الأولى في هذا المكان كانت مختلفة عن كل ما عاشه قبل ذلك...فهي المرة الأولى التي يذهب فيها رامي المراغي لـ (المولد)...

مولد (سيدي الحلِّي)...طلب من والدته أن يرافق جده لهناك حين كان في الرابعة من عمره... لكنها نهرته بشدة...أخبرته أن المولد مكان لا يناسبهم...وعندما سألها لماذا لا يناسبهم أخبرته أن الأماكن لم تخلق كي يرتادها كل البشر...فكل إنسان يولد وقدماه منقوش في باطنهما اسم الأماكن التي يجب أن يذهب إليها...وفي كل مرة كان يذهب لمكان جديد كانت أمه تنظر في باطن قدمه وتقول: (بالفعل مكتوب اسم المكان)...

الغريب أنه صدق ذلك حتى صار عمره تسع سنوات حين ذهب مع مجموعة من زملائه في المدرسة للـ (ديسكو تك) في النادي...كان زفاف أخته الكبرى يقام في إحدى القاعات...وتسلل خُفية وعاد...ولم يُصب بأذى...عندها خلع الجورب على باب قاعة الزفاف حين عاد وفتش عن كلمة (ديسكو) ولم يجد...

اليوم سمع في القرية أن كبير الحضرة يذيع خبرًا بأن (سيدي الحلّي) اصطحبه في المنام للكعبة المشرفة وبشَّره أنَّ وليًّا جديدًا من آل الحلّي سيظهر اليوم...وعلامته السقوط في البقعة الطاهرة الخضراء...فقرر رامي أن يذهب من باب الفضول الذي أصاب القرية كلها...

للمرة الأولى كان المولد مزدحمًا على هذا النحو...كان تكثف الأنفاس البشرية الحارة على وجنات جيرانها يثير طقسًا رطبًا خانقًا...المارة يتوقفون لمطالعة ذات الألعاب التقليدية منذ عشرينات القرن العشرين...العجلات البلاستيكية الدوارة والإكسسوارات المعدنية الرخيصة المصابة بالصدأ على عربات البيع وجميعًا تُصدر جلجلة عالية...الأطفال يصرخون طلبًا للحمص والحلوى المخططة باللونين الأبيض والوردي...وبخور (سيدي الحلّي) الشهير بهلاله الأخضر الذي يحمل البركة أينما حل...وفي آخر المولد نُصبت خيمتان متجاورتان بينهما ممر عرضه حوالي المترين...الأولى على اليسار لـ (فتينة) الغَزِيَّة وفرقتها وقد اجتمع حولها حضور واقفون يتساوون مع حجم أولاء الواقفين في الخيمة الثانية التي علا فيها صوت مُكبِّر صوت المدَّاح (الغباشي) ليغطي على فرقة (حسينة) قليلاً وليس كثيرًا...

خيمة (الغباشي) هي قلب المولد...مزدحمة ببشر يُشكلون حلقة كبيرة يتمايلون ببطء الأجزاء التي تعلو الخصر من أجسادهم يُمنة ويُسرة على موسيقى الذكر...ثم يتحول البطء تدريجيًّا لسرعة ثم عنف...تعلو أصوات البعض مكبرًا ثم يخرج مُحدِّثًا شخصًا لا يراه أحد فيقولون: (انجذب للإله...بركاتك يا سيدي الحلِّي) وفجأة سقط رجل عجوز وسط الحلقة...صرخ كبير الحضرة: (أوقفوا الموسيقى...اللّه أكبر...اللّه أكبر...اللّه أكبر...وَلِيّ جديد...وَلِيّ جديد...وَلِيّ جديد).

اجتمع الجميع فجأة حول خيمة الذكر بمن فيهم (حسينة) وفرقتها...كان رامي يقف بعيدًا...فجأة شاهد عجوزًا مرفوعًا على الأعناق بجلباب أبيض رث قذر وعلى كتفه قطعة قماش سوداء من الصوف الخشن...لكن فجأة علا صوت مكبر صوت يعلن للمرة العاشرة عن طفلة مفقودة... نظر رامي تلقاء مكبر الصوت...طالعته (شريفة) عاملة المخبز أسفل بيته تبكي...هرول إليها يساعدها...

مر أكثر من ثلاث ساعات من البحث دون فائدة...بدأ المولد في سحب نفسه من المكان تدريجيًّا...الباعة الجائلون يحولون طاولاتهم الخشبية لشرائح متراصة فوق بعضها...تتوجها صُرر من القماش بها بقايا ما أحضروه للبيع...هنا وهناك

تقف مجموعات تتناقش في بعض الحسابات...رحل رواد المولد بوليهم...وعلى أطراف الهدوء كانت ابنة (شريفة) نائمة...بجوار خيمة حسينة...عندما اقترب رامي سمع ضحكة الغَزِيَّة الرنانة لزبونها...قالت: (أعطني نصيبي فيما جمعت من الكرامات يا حضرة الولي الجديد).

أيقظ رامي الطفلة بقسوة...قال لها: (أمك ستعاقبك بقوة... ألا تعلمين أن هذا المكان ليس مكتوبًا على قدمك ؟) بكت بصوت عالي آلمه في بطن قدمه...هو لن يعود...

●●●

obeikandl.com

رجل الأوراق الجميلة

كانت تشعر بملل كبير وهي تتصيد رشفات القهوة الساخنة من فوهة الفنجان الفخاري الراقي... كل شيء في هذا الفندق يحمل عبق أكثر من مائة عام...رغم أن عمر الفندق لا يتجاوز الستين عامًا...هو يفتح ذراعيه على هيئة نصف قمر محاولاً احتضان البحر بموجات عنيفة وبلا مصدات أمواج...وهي تعشق كل ما هو بلا مصدات أمواج...كانت وحيدة على الشاطئ ولم تلحظ أيضًا أن (الجارسون) خبَّأ كافة طاولاته وكراسيه استعدادًا لإنهاء خدمات مقهى الفندق... كان الملل يختفي لحظة أن ارتشاف حرارة القهوة ثم يعود ما إن تستقر في جوفها القهوة وتبرد... تذكر ذات مرة أنه أخبرها أن مديره في العمل طلب منه تغيير القهوة حين تصرَّف تصرُّفًا عادلاً لكن لم يرض الرئيس...ابتسمت للذكرى...لكن الملل عاد مع برود السائل القاتم... رحل الجارسون تاركًا إياها مع مقعدها وطاولتها...لا شيء يُفقد هنا...سيجد أدواته صباحًا...

دقت ساعة لا تعرف مكانها...إنها الواحدة بعد منتصف الليل...لاحظت أن فنجانها الفارغ صار مثلجًا وبقايا البُنّ جف كلُّ مائها وهي تحاول تسلق جدرانه نحو الحياة الأكبر...تنهدت

راسمة بأنفاسها دخانًا حارًّا...حينها فقط شعرت بالبرد...هي لا تحب الملابس الثقيلة جدًّا...هي تحب حريتها...هو يعرف ذلك... لطالما أخبرها أنه يحب اختلافها معه...وهي لم تخبره أنه القصة الوحيدة التي استطاعت أن تكتب عنها وهي تعرف صاحبها...هي كاتبة والكتَّاب لا يعلنون أسرار شخوصهم أبدًا...هي ترى الأمر كما لو كانت طبيبهم النفسي الذي يتوقف عن ممارسة المهنة فور الإعلان عن أسرار عملائه...هم أيضًا يعرفون سرها...ولا يبوحون به... يعرفون أنها تحب رجلاً لم تقابله أبدًّا...طلبت منه اللقاء أكثر من مرة لكنه يحب البقاء بعيدًا... يرى أمانه في بُعده...لم تفهم أبدًا لم...لكنها مع الوقت أدركت أن اختلافه يجعله ساحرًا...وأنها تعرف أن اكتشافه يزيده ملاءمة لها جدًّا... تملك بضع صور له...ترى بينها وبينه شبهًا قد لا يراه هو... ويُسعدها هذا...

ظلت لفترة تكتب أحلامها على صوَرِهْ...وتستيقظ صباحًا فلا تجد تلك الأحلام في بريدها الإلكتروني كما اعتادت أن تجد رسائله المهذبة جدًّا والودودة جدًّا والمليئة بالإشارات الصالحة لكل المعاني...آهٍ من رجل يقول لك كل شيء في نفس الوقت...كلمات تناسب صديقًا وصديقة... وتناسب حبيبًا وحبيبةً...وتناسب أخًا وأختًا...هو رجل يفعل كل شيء بشكل يجعلها لا تفهم أي شيء...

تحسست حقيبتها...كتابها الجميل أثقل كتفها قليلاً...تذكرت كيف كانت مجنونة بما يكفي للكتابة عن حبيبته السابقة...عرفت أن له حبيبة لم يعد بصحبتها لكنه يذكرها بلا حب...فكتبت عن الحبيبة السابقة واندهشت حين وجدت نفسها مشدودة لتلك الفتاة...فقط لأنها شعرت بأنها ترى شيئًا يراه هو...وبقي هو كل شيء الذي لا يشير لأي شيء...أخيرًا حملت حقيبتها وخبَّأت فمها وأنفها بردًا في ياقة كنزتها الصوفية السوداء...دلفت لغرفتها...كانت دافئة جدًّا...شيئًا ما يجعلها دائمة التمرد... فتحت الشرفة على مصراعيها...كانت تراقب الستائر بشغف وهي ترتعد تحت رياح البحر الباردة...وصوت المدّ العالي يملأ الغرفة...وأخيرًا طارت بضع أوراق كانت تحمل قصة كتبتها هذا الصباح حين تعطل جهاز حاسوبها المحمول...لم تكتب بقلم وحبر منذ سنوات طويلة...اندهشت حين كتبتها...كانت عن فتاة قررت أن تحب وحدها حبيبًا يستحق أن تحبه حتى لو لم يحبها...شعرت بفزع ويأس شديدين...حتى قرار الحب وحدها تعبث به الرياح اللعوبة... ركضت خلف الأوراق...كانت ملقاة على أرضية مدخل الغرفة القاطنة تحت غرفتها...ملأت الورقات الثلاثة كل مدخل الغرفة في الدور الأرضي على محدودية حجمها...همَّت بالنزول لكن أحدهم فتح باب الشرفة...ولمس الأوراق...جمعها في هدوء...

شاب لا يبدو منه غير ملابس خفيفة كملابسها وشعر رأس أسود كثيف...شعرت بأنه يشبهها إلى حد ما...وأعجبتها تجربة أن يقرأ لها...هي تكتب ويقرَءُون منذ سنوات...جعلت تراقبه في هدوء وهو منهمك في القراءة حد أنه جذب كرسيًّا وأضاء مصباح المدخل واستغرق في القراءة منحنيًا إلى الأمام في اهتمام والأوراق في حجره...بدا جميلاً رغم أنها لم ترَ ملامحه...وبدا رشيقًا رغم أنه تكوَّر في الكرسي حول الأوراق سريعًا...وما إن أنهى القراءة حتى تلفت باحثًا عن مصدر القصة...رفع رأسه للأعلى...عرفت من وجهه وعرف من وجهها أن الأوراق ذهبت للرجل الذي كتبتها له... كان هو...ولم تذهب له الأوراق إلا لأنه كان عاشقًا يريد أن يرى العشق لديها فيذهب إليه...

●●●

حتى يتفتح القرنفل

صباحات الشتاء الباكي لا تجود بالأزهار...وحين جادت عليه بأول قرنفلة تفتحت لم يصدق عينيه...جعل ينظر للأصيص البارد التربة بسعادة وقرنفلته الجميلة القرمزية تحارب البرد بروعة، تفتحها وكأنها قدمت للحياة عناقًا فأعطتها الحياة حياةً...لمس بأنامله بَتَلاتِها الناعمة الغير منتظمة الأطراف وكأن أطرافها أطراف سكين تجرح بنعومة...أحس بدغدغة المخمل داخل أضلاعه فابتسم سعادةً...وتنامى الشعور في داخله حتى تحول لضحكة خرجت من حلقه...كان سعيدًا جدًّا بقرنفلته الفتية...

لم يلحظ أن جارته تراقبه من نافذتها على البعد...فطوله الفارع كان يفضح كل تصرفاته على البعد، ولن يفلح السور القصير لسطح بيته في مداراة مداعباته للفاتنة القرمزية...أغراها على البعد كيف كان يُدلل الزهرة...كيف ابتسم لها ثم كيف ربت على خدها الناعم المقوس البضّ حتى ضحك عشقًا...شعرت بأنها تحلم بأن تكون تلك الزهرة...ألا تستحق أن تكون هي تلك الزهرة؟ إنها مجرد زهرة لا أكثر ولديها كل ذلك...قرمشت بعض التوست المحمص في غيظ...وتابعت مراقبتها في اهتمام أكبر حين راقها كيف تناسب بياض بشرته مع دموية الأوراق الشابة...

لـم يشـعر كلاهمـا بالوقت...لكـن رأى أن يتـرك زهرتـه ترتـاح في ظـل مدخـل غرفـة يتيمـة فـوق السـطح خوفًـا مـن أمطـار غـادرة لاسـيما في يـوم غائم...أمـا هـي فـزاد غضبهـا مـن القرنفلـة أكثـر... كانـت غاضبـة لأنهـا تحظـى بمـا لـم تحـظ فتـاة حقيقيـة بـه علـى حـد علـم سـنواتها كفتـاة شـابة...والآن هـي غاضبـة أكثـر لأن القرنفلـة أمرَتـهُ أن يرحـل فرحل...كانـت مندهشـة...كيف تسـيطر عليـه هكـذا وهـي في عرينهـا الطينـي المزعـج في عينهـا...ازداد غضبهـا...وجـدت نفسـها مندفعـة جـدًّا نحـو زيـارة الزهـرة الشـريرة...وبعـد دقائـق كانـت أمامهـا...أقبلـت عليهـا تحملهـا لكـن قطـة سـيامية حالـت بينهمـا ومـاءت بصـوت مرتفع...ارتبكـت وابتعـدت عـن الزهـرة لا إراديًّـا... وفوجئـت أن القطـة دلفـت للغرفـة المفتوحـة حيـث الـدفء ولـم تهتـم كثيـرًا لصـراع أطـول مـن أجـل قرنفلـة...

حملـت القرنفلـة بهـدوء...لـم تسـتطع مقاومـة ندائهـا لهـا...داعبـت بَتَلاتِهـا ودغدغهـا مخملهـا... كانـت تفعـل كل مـا فعـل جارهـا صاحـب القرنفلـة وتحـاول اسـتحضاره عـن طريـق اسـتحضار أفعالـه...تحـاول التخاطـر معـه بـكل قوتهـا...وحـين شـعرت بالفشـل في أن يشـعر بـكل هـذا جذبـت القرنفلـة مـن جذورهـا في عصبيـة...ومزقـت بَتَلاتِهـا علـى الأرض...جعلـت تتأمـل بقايـا القرنفلـة الشـامتة بهـا رغـم مـا حلّ بهـا مـن شـتات...هطـل المطـر...بكـت...وهـرعت لبيتهـا مسـرعة...

كانت وحدها هذا اليوم...أمها وأبيها يعملون يوم الأجازة فكلاهما طبيبان في ذات المستشفى ويحتاجان لأجازة مشتركة غدًا...لذا يحتاجان لعمل مضاعف اليوم...توقف المطر بعد ساعة... والنافذة لم تر الجار الحنون...أثارت القرنفلة جنونها حد أنها عادت للغرفة المفتوحة فوق السطح...وتركت رسالة في أصيص القرنفلة: (أنا كالقرنفلة...قطفتها دون قصد...فهل تقبل بي قرنفلة للعمر؟) شعرت براحة كبيرة جدًّا...رغم اندهاشها مما فعلت إلا أنها شعرت أنها الآن فقط تستطيع إغلاق النافذة... وخلدت للنوم...حين استيقظت وجدت رسالة قصيرة على هاتفها المحمول: (أقبَلُ...لكنني سأنتظر حتى أستطيع مسامحتك... سأنتظر حتى يتفتح القرنفل مرة أخرى) ولم تشغل بالَهَا بكيف عرفها ولا كيف عرف رقم هاتفها المحمول...لأنها فقط ستفكر في متى يتفتح القرنفل مرة أخرى...هكذا كان اختيارها منذ البداية...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

زوجي العزيز...احترم ما أدفعه

أطالت النظر لملامح وجه زوجها المنتشرة على الوسادة العليا لمقعد قطار الدرجة الأولى... كان كل ملمح من ملامحه يوحي بجودة خدمة تكييف الهواء...الشمس الساطعة في الخارج لا توقظه أبدًا في أغسطس...استسلم لغطيط منخفض الصوت جدًا...لم يسمعه سوى أذنها الخبيرة في التقاط بصمة حنجرته أينما كانت...مدَّدت فقرات ظهرها على الكرسي المريح...وصل لأذنها صوت امرأة أنيق النبرات منتظم النغمات...اعتقدت أن هذا الصوت - الموشَّى بلكنة تصيب من يكثرون الحديث بلغة أجنبية ما - لا بد أن يكون لسيدة راقية...كانت تقول لرفيقة تشبهها:

- في كل بلد أزورها لا أخطط لشيء سوى العمل...أحب أن تكون حياتي الخاصة حرة جدًّا...هي التي تقودني ولست أنا التي أقودها...حياتي المليئة بالأرقام لا يمكنها أن تتدخل في وقتي الخاص جدًّا...لذا ما إن أصل لبلد... أي بلد...فإنني أُنهي عملي سريعًا كما يجب.. ثم أضع بطاقة هويتي في جيبي تاركة كل وسائل الاتصال مع الآخرين في غرفتي في الفندق...عادة ما أشتري خط هاتف محمول جديد كل مرة لأنني لا أحب الانفصال

عـن العالـم بـل أحـب الانفصـال عـن العالـم الـذي لا يُشـبه خصوصيتـي الشـديدة...أتواصل مـع هـؤلاء المقربـين منـي جـدًّا جـدًّا فقـط...

- هل تكونين وحيدة كل مرة ؟

- بالطبـع لا...فمثلي لـم تخلق كـي تكون وحدها...أنـا أخطـط كل مـرة لصحبـة جديـدة... أعتبـر أن السـفر ميـلاد جديـد وأنـا جديدة...علـيَّ أن أجـد جديـدًا أصاحبـه...وفي كل مـرة كنـت أتصـل بأحـد أعرفـه ليصاحبنـي لـم أكـن قضيـت معـه وقتًـا طويـلاً مـن قبل...لكـن هـذه المـرة كان الأمـر مختلفًـا...

- مـا الجديـد؟ أظنـك قضيـت الوقـت مـع سـهيل...وأظنك عملـتِ معـه لفتـرة أيضًـا قبـل ذلـك...

- نعـم لكننـي لـم أكـن أعـرف شـيئًا عـن ازدواجيتـه الكبيـرة... هـو شـخص يجيـد الحديـث عـن الحريـة والتشـدق بميلـه للخـروج عـن تقاليـد مجتمعـه البالية وقراءاتـه التـي لا حصـر لها...لـو تحـدث معـك خمـس عشـرة دقيقـة فقـط لشـعرتِ أنـك مـع رجـل خـارق القـدرات والذكاء...لكننـي طالمـا سـألت نفسـي: لِمَ يخفـي زوجتـه أحيانًـا؟ لِمَ لا يتحـدث معهـا أمامنـا حـين تتصـل بـه؟ ولِـمَ يتصـرف كمـن لا يرتبـط معهـا بـأي

رباط حين يغازل الرائحات والغاديات علنًا ثم يدَّعي حبها ويشكو غيرتها؟قررتُ أن أجرب شيئًا جديدًا مع هذا المزدوج...

- تزوجته؟ أنتِ مجنونة وتفعلينها...

- أنتِ تضحكينني بالفعل...هذا الرجل ليس زوجًا تريد أن تتزوجه أية امرأة تعرفه...هو وسيم بلا شك وله مركز اجتماعي جذاب...لكنه ليس بالرجل الذي يجعلك تشعرين معه أنكِ موجودة...لأنه ليس ذكيًّا إلى حد أن يراكِ بل إنه يريد طوال الوقت أن يذكركِ بأنه نعمة كبيرة فقط...وفي الوقت الذي سيشعر فيه بتميزك سيغضبك وستغضبين وحينها يتهمك بكثرة التعليق على تصرفاته بما يضايقه...

- بدأ الفضول يقتلني...ماذا فعلتِ؟

- جعلته يطلب مني أن أشتريه لليلة...وبإرادته...

- ماذا!

- نعم اشتريته لليلة...كنت أعلم أنه يدَّعي أشياء كثيرة لم يفعلها...لذا استدرجته ليوصلني للفندق الذي نزلت

به...وكعادته نظر لنفسه كنعمة كبيرة لا يجوز لي أن أرهقها بالعودة لبيتها...عرض عليَّ أن يبقى لقاء أن أدفع للغرفة والطعام... ووافقت...كانت شروطي أنا هي ما نُفِّذت طوال الليلة...لم يحدث شيء سوى صحبة بريئة قبل النوم...لم يحدث شيء أكثر مما أريد...وعندما طلع الصباح حملت أشيائي ورحلت تاركة أشياء استهلكتها جميعًا بطريقتي حتى النهاية...هو توقع أنه أخذ الكثير لكنني في الواقع حصلت على ما دفعت له دون أية زيادة...

- اخترت عبدك وطلبت منه أن ينفذ أوامرك إذن...

- بل جعلته يترجاني كي ينفذ أوامري...للأسف لا يعلم الرجال أن المرأة لا تدفع إلا لشراء أشياء بعينها ومن ثم لن تنظر لأشياء اشترتها واستهلكتها بطريقتها مرة أخرى...

- يا إلهي...لم أكن أعلم أنكِ تحسبين كل شيء بالمكسب والخسارة إلى هذا الحد...

- سيدتي كل شيء ننظر له على أنه يفيدنا والوحيدون الذين لا ينتظرون الفائدة هم الأموات...تظلين نفعية بشكل أو آخر حتى تموتي...أنتِ الآن تحبين زوجك

وتعتقدين أنكِ لا تنتظرين شيئًا من هذا الحب...لكنك في الواقع تُجنين رضاكِ عن أدائك لدورك وهو أمر نفعي أكثر مما تتخيلين...

- وهل انتهى الأمر مع سهيل بتلك الطريقة؟

- أنا افتعلت مشاجرة بسيطة كي أقطع علاقة رآها سهيل خاصة بالنسبة له...وكي أستعيد علاقة عمل خالصة من وجهة نظري...صدقيني كل شيء ممكن حين نراه ممكنًا...

كانت الزوجة تسمعهما بانتباه شديد...ثم شردت عن حوارهما فجأة...عادت تتأمل زوجها النائم...راجعت كيف اشترت منذ البداية بقاءه معها وكيف اشترى هو بقاءها معه...كان الأمر مثيرًا على نحو كبير...حتى أنها استطاعت أن ترى عدالة كبيرة في علاقتها به...ووجدت أن شكواه منها لا مبرر لها...فهي تدفع كما يدفع في هذه العلاقة...والدفع عندهما لا يقتصر على المال لأنها طوال الوقت معًا...هما يدفعان صبرًا وجهدًا ووقتًا...الكثير الكثير يُدفع في هذه العلاقة...

قطع شرودها أنه استيقظ...نظر لساعته...لم تسمع كلماته جيدًا لكنه كان يتشاجر معها لسبب ما...حين وصل القطار لمحطة

الوصول...مرت أمامها السيدتان المتحدثتان...كانتا أنيقتين جدًّا... كان زوجها يحاول الشجار مرة أخرى...قالت بهدوء وهي تحمل حقيبتها بنفسها: (في هذه العلاقة أنا أقدم مثل ما تقدم...أستحق احترامًا مثل ما تحصل عليه...فكر في الأمر... وسأنتظرك) وغادرت القطار لبيت صديقة حتى يفكر فيما يحصل عليه تلقاء ما يدفع...

●●●

obeikandl.com

طوق النجاة السري

لم تكن تعلم كحال كل الفتيات أنهن في الليلة الثامنة بعد نهاية قصة حب يشعرن بأن القلب جائع جدًّا...اندهشت من حالة الجوع التي انتابتها لكل شيء...للماء والطعام وحتى النور...حتى أنها كانت تفتح شرفة غرفتها بهيستيريا كبيرة...كان البحر يقبع أمامها خاليًا من زواره في صحبة شمس شروق أبريل...أحست ببعض الوخز في جسدها...حكَّت رقبتها بقوة...كانت جائعة لجريدة الصباح أيضًا...لذا كان الحليب الساخن مع شطيرة جبن طازج وجريدة الصباح خيارًا استراتيجيًّا.

همَّت بتصفح الجريدة...لفت نظرها عنوان ممتد في براءة أسفل الصفحة العاشرة (وماذا بعد الحب!) بقلم: حسام جابر... جذبها العنوان حتى أنها أعدت شطيرة جبن أخرى من أجله... لكنها فجأة وبعد السطر العاشر بدأت تهتم بالقراءة وحدها ونحت الطعام جانبًا...وكلما تقدمت في القراءة نحو نهاية المقال كان غضبها يتزايد حتى ألقت بالجريدة جانبًا...وتوجهت نحو دولاب ملابسها في صمت غاضب يرج جسدها فوق خطوة قدميها في قوة...وبعد ساعة كانت أمام مكتب الجريدة بالإسكندرية... شقة صغيرة في الدور الأرضي...استقبلها عامل...سألته عن

مسئول يمكنها أن تتحدث معه...دلها على رجل أربعيني يجلس على مكتب يتيم في غرفة مفتوحة الباب...دخلت بهدوء واستحياء أطفيا غضبها قليلاً...سألته:

- كيف يمكن التواصل مع الكتَّاب الصحفيين؟
- لماذا؟ هل يمكنني المساعدة؟
- قصة منشورة اليوم: (وماذا بعد الحب!) أريد التواصل مع كاتبها للأهمية.
- سبحان الله...غريبة!
- لماذا؟
- أنا كاتب القصة...وهي أول قصة تُنشر لي.
- وستكون آخر قصة...أنت تعتدي على خصوصيات الآخرين وتسمح لنفسك بسرقة تفاصيل حياتهم وتنشرها دون استئذان...
- أرجوكِ اهدئي...سأفعل ما تريدين...فقط اهدئي...من المؤكد أن هناك سوء تفاهم في القصة...من المؤكد أنه لن يوجد تفاهم من الأساس.

obeikandl.com

نجح في تهدئتها...حين تكون الأمور شخصية جدًّا لها فإنها تهدأ دائمًا...لم تقاتل لأجل نفسها ولو مرة...لا لشيء إلا لأنها حاولت قبل ذلك مرارًا وانتصرت لكن طوال الوقت لم يكن أحد يرى ذلك الانتصار...يكملون حياتهم ولا يلتفتون لها...طلب لها عصير ليمون بالنعناع...أخرج من درج مكتبه ملفًّا بلاستيكيًّا أزرق اللون، طلب منها أن تقرأ بهدوء (أرجوكِ بهدوء...ربما أحتاجكِ كما تحتاجينني).

قبل أن تنهي الصفحة الأولى أغلقت الملف...بدت الصدمة كاملة على وجهها...قرَّب كأس العصير من يدها...ارتشفت رشفة وكأنها تستغيث بأي شيء يمكنه أن يتسرب داخلها...حاولت البحث عن صوتها وسط زلزال معدة انتابها...وأخيرًا قالت بصوت ضعيف مرتجف:

- في البداية قرأت تفاصيل خيانة رجل لي بأقصى ما يمكن من تجريح لسلبيتي...لقد ذكرت كل التفاصيل وكأنك تقول على من لا يعرف أن يعرف أنها أنا...والآن أقرأ تفاصيل لا يعرفها سوى طبيبي النفسي الخاص عن حالات الهيستريا المضاعفة التي تنتابني منذ وفاة أمي... أنا الآن عاقلة جدًّا وأريد تفسيرًا قبل أن أقاضيك.

- انظري لوجهي قليلاً...ألا تذكرينني حقًّا؟

ارتشفت رشفة أخرى من العصير في نداء استغاثة جديد... أضاقت حدقتي عينيها محاولة التفرس في ملامح وجهه. خلع نظارته الطبية كمساعدة تنشيطية لذاكرتها. شعرت أنها تعرفه لكن لم تتذكر كيف...ابتسم في راحة وأشعل سيجارة...طار دخان رمادي حول شفتيه...قالت بهدوء:

- التقينا مرة واحدة في المستشفى...أنت نزيل الغرفة المجاورة لغرفتي.

- نعم...لطالما استطعت أن أكتب كلمات جميلة لكنني أبدًا لم أجد الفكرة التي أريد...منذ الوهلة الأولى بجسدك النحيل وخطواتك التي لا تترك أثرًا على الأرض كنتِ الفكرة.

- إنها حياتي.

- وأنا لا أنكر حقك فيها. ولن أفعل. أنا صحفي. كان من السهل عليَّ أن أجمع كل المعلومات عن حياة سكرتيرة في مكتب محاسبة قانونية تعيش مع جدها...لكنها مثَّلت لي الفكرة الخام لامرأة مفعمة بالحلم والنقمة معًا.

- وماذا عني الآن...أنت تكتبني وأنا أقف في صفوف المتفرجين...

- الحياة صفقة...قرأتك جدًّا...والآن لأول مرة في حياتك يخبرك أحدهم أن هذه الحياة غالية وأن من حقك أن تشاركيني ما ستجود به يومياتك التي لم يُقدِّرها أحد سواي حتى الآن...

- أنت وقح في التقليل من شأن حياتي...

- وأنتِ تبالغين في تقديرها خارج أوراقي...

لم تكن تتوقع أبدًا أنها ستشعر بالسعادة لمجرد أن أحدهم بالفعل لاحظ تفاصيل حياتها... أحدهم شاركها النوم على وسادتها وقطع طريق لعملها كل صباح ورسم شفتيها بأحمر الشفاه كل يوم حتى أحلامها بالقوة...وهذه السعادة جعلت من كليهما صفقة مميزة للآخر، أو عفوًا كما أحبَّا تسميتها (طوق النجاة السري) نجحا في الاقتراب من الحياة بنجاح ببصمتهما...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

اتفاقية التانجو

كل الأجواء كانت مناسبة لبدء الرقصة الأولى...كعادتها اشترت ثوبًا جديدًا ورديًّا...هكذا تحب أن تبدأ كل رقصة جديدة تتعلمها...واليوم يوم التانجو...حيث تتحول كل مربعات صالة الرقص إلى قصص عشق...سمعت ذات مرة على لسان أحدهم أن من علَّمته أمه التانجو قد علَّمته الحب...

ظهرت معلمة الرقص الروسية...توقفت في منتصف الصالة حيث عكست المرآة تفاصيل ثوبها الأحمر الجميل المعقودة تفاصيله بحزام أسود أسفل الظهر...كانت ملامحها الصارمة دائمًا لا تتناسب أبدًا مع شعرها الأحمر وأثواب الرقص الزاهية التي ترتديها...لكنها كانت تستطيع أن تجعل تلك الأثواب جميلة على أجساد تلاميذها وملامحهم السعيدة بالرقص...وكانت (أمينة) تلميذتها المفضلة (مارينجي) مميزة و(برينجي) رقصة السالسا...

اليوم بدايات التانجو في حياة (أمينة) والتانجو في حياة كل راقص تدريب خارق لكل حواسه...كانت تجلس بعيدًا على أريكة الاستراحة استعدادًا لتمارين (تمدد العضلات) برفقة شريكها (مراد) وتأخر مراد...كانت زميلتها في التدريبات ترمقها كل فترة بقلق...كادت أن تنصحها بالرحيل خوفًا من بداية رقصة جديدة

في جو من الفأل السيئ...فمراد لا يتأخر أبدًا... ولكنها تعرف أن أمينة لا تؤمن بتلك الخرافات أبدًا...اقتربت منها...ربتت على كتفها...وأثنت على ثوبها الوردي القصير الحريري...وجاء مراد...

وبدأت تمارين الإحماء...لا يتوقف انسياب الموسيقى في هذا المكان أبدًا...سواءً كان هناك من يرقص أو لا...لذا فالخلفية دومًا لاتينية كما تحبها أمينة...كان مراد عنيفًا قليلاً اليوم على غير عادته...لكنها لم تشك...فقد كان جليًّا على ملامحه أنه مرتبك لتأخره للمرة الأولى عن موعد الرقص مع صديقته منذ ثلاثة أعوام...

وبدأت مدربة الرقص في تجميع الفريق الجديد...أربعة أزواج من الراقصين...وجاء صوتها هادئًا رتيب النبرة بلغة عربية سليمة: (التانجو رقصة تعتمد على إحساسك بها...لا تكترث للخطوات فهم سينظرون لوجهك ثم يترجمون خطواتك وليس العكس...هذه الرقصة تخرج من قلبك...) ثم فتحت يدها عن قطعة حجر سمراء وتركتها في منتصف الصالة أرضًا...تلك هي عادتها مع بداية كل رقصة...تتركهم مع الموسيقى فترة ثم تسألهم ماذا يرون في شيء جامد (مرة كسي وأخرى عصا وثالثة قطعة حرير وهذه المرة حجر صلد أملس) وبعد انتهاء مقطوعة الموسيقى تواترت الإجابات...كانوا يندهشون بعد أن يجيبوا على

سؤالها...فعادة ما تكون الأجوبة بعيدة عن الجسم الجامد...فهذا الجسم يتحول لبحر ونوارس وقطط ونار وبراكين وقبلات...وربما أكثر حسبما يحملهم صفاء ذهنهم...ثم يبدأ الرقص على ضوء ما يرونه في الجسم الجامد...ويصبح لكلٍّ أسلوبه المميز في التعامل مع الموسيقى كما كان له أسلوبه المميز في رؤية حجر...ورأت أمينة في الحجر (حفرة).

بدأت التمارين (١...٢...٣...١) ولا يعلم مراد كيف وجد أمينة فجأة بعد دقيقتين من بدء التمرين أرضًا تتأوه بصوت عالٍ... وفجأة توقف الرقص وصارت أمينة الحفرة التي تجمعت حولها الأنظار بالفعل...صاحت المدربة: (سنؤجل التمرين...أفسحوا طريقًا للطبيبة) وعادت أمينة لبيتها بساق مكسورة في جراب من الجبس...وتأجل التمرين أسبوعًا...لم يعد لدى أي منهم رغبة في بدء رقصة الشغف مع أرض ابتلعت شغف أمينة...

في صباح اليوم التالي اتصل بها مراد...عرف البكاء في صوتها...

- لن أستطيع أن استخدم ساقي لمدة شهرين يا مراد.
- اجهزي...سأمر بك بعد نصف ساعة...
- لا رغبة بي للخروج...

- ألا تثقي بي؟

- أنت تعرف...ما هذا السؤال السخيف!

- إذن سأمر بك...

وأغلق الخط...بعد ساعة كانت في صالة التدريب...استقبلتها المدربة استقبالاً لطيفًا...وللمرة الأولى تراها لطيفة لا صرامة في ملامحها...قالت المدربة: (أراد أن يتعلم ورفض أن تكون حصته الأولى بغير شريكته...من قال أن الرقص يحتاج لساقين فقط؟ ألم يخبرنا زميلكم أنه رأى في الحجر نورسًا؟ استخدمي جناحيك).

بدا الأمر أسطوريًّا وهو يتعلم خطواته معتمدًا على رفيقة رقص يحملها معظم الوقت لأن ساقًا واحدة لا تكفي للحركة كاملة...لكنها كانت بلا شك تكفي للطيران...ولم يتعلم أي منهما التانجو قط...بعد شهور قالت له أمينة حين تذكرا الأمر: (نتعلم الرقص كي نتصالح مع جزء من العالم...فإذا تصالحنا معه سنجد صعوبة في تعلم الرقص) فابتسم بهدوء لأنه علم أنها ترغب في مصالحة جزء جديد من العالم...

●●●

obeikandl.com

(مريم) بيننا

هـو طبيـب جدتها...تلـك المـرأة التـي كانـت تضحـك كثيـرًا بعـد عودتهـا مـن زيارتـه كل مـرة... حتـى عجـزت هـي عـن تلـك الزيـارة... يؤلـم كثيـرًا أن تتحـول عشـرتك وأوقاتـك الجميلـة اللتـين تتقاسـمهما مـع جسـدك إلـى سـلاح ضدك...كلمـا زادتـا صـار جسـدك غيـر قـادر علـي ممارسـتهما رغـم أنهمـا جميلتـان لا تتوقفـان عـن اكتسـاب المزيـد مـن الجمال...اسـتدعت الطبيب...وحضـر الطبيـب منزعجًـا...

هالَهَـا كيـف نظـر إليهـا منـذ فتحـت بـاب البيت...تجمـدت كل أعضائـه تمامًـا حتـى ظنتـه لا يتنفس...عندهـا تنحنحـت في رقـة... هـي خجولـة بطبعهـا وهـذه النظـرة الغريبـة لا معنـى لهـا بينهـا وبـين رجـل في عمـر والدهـا بالنسـبة لها...اعتـذر الرجـل ثـم قـال بـأدب:

- عفوًا...فأنتِ تشبهين جدتك كثيرًا...بشكل لافت للنظر.
- يسـعدني ذلك دكتور...وسيسـعدني أكثر أن أراها تتحسـن... لـم تعـد تسـتطيع حتـى التحـرك مع السـائق لزيارتك...
- امرأة قوية...تصر أن تزورني وحيدة كل مرة...
- تظن أنها يجب أن تتألم وحدها ولكن ...

- لكن اللّه قدر لي أن أراكِ.

طلبت منها الجدة أن تُحضر للطبيب شايًا بالنعناع... واستبقته وحده كعادتها...بعد قليل كان الشاي يجمعهم...كان واضحًا أن علاقة خاصة جدًّا تجمع هذا الطبيب مع مرضاه القدماء...بدا من أحاديثه أنه يعرف الكثير من حكايات جدتها السرية...حتى أنها أخبرته الكثير عن حفيدتها (مرام) وليلاً بينما كانت تصحح كراسات طالباتها الموشاة بلغة إنجليزية عصية على الفهم -كعادة طالبات الابتدائي - اتصل بها...كان بالفعل يطمئن على جدتها لكن بنبرة صوت حنونة جدًّا...منعها الخجل من تصديق فهم الأنوثة...لكنها كانت منتشية حد ارتفاع درجة حرارتها نصف درجة شعرت بها تؤرقها حتى ساعة متأخرة من الليل...

تكررت زيارته...وزاد ذبول الحياة في قدمي جدتها...حتى صارت تعشق زيارة أي كان لأنها لم تعد قادرة على زيارة أحد... طالت المكالمات رويدًا رويدًا...وكعادة هذا الطبيب مع مرضاه استطاع أن يتسلل من حكايات جدتها لحكاياتها...واستطاع أن يقنعها بزيارته في المستشفى لتطمئن على نتائج تحاليل الجدة... وانتهى الأمر بغداء هادئ...شعرت أنها حقًّا تحتاج لهدنة من كل الأشياء التي تقودها في الحياة...كان لطيف المحيا...له ابتسامة

لافتة جدًّا مع شاربيه المنسقين وشعره الرمادي...والشعر الرمادي لرجل يحكي كل الحكايات دون شبهة خطر...لكنها بجمالها المتواضع لم تكن تستطيع قط أن تفسر سر تلك النظرة الطويلة الشاردة التي يرمقها بها كلما رآها...ومع الوقت اعتادت ما لا تفهمه كما اعتادت ما تفهمه...اعتادت لمساته الحارة...وقبلاته المسروقة...كان مجرد هروبها دون أن تمنعه من ذلك أقصى تجاوب يمكن أن تقدمه...

له ابنة واحدة (مريم)...سافرت مع أمها البحرينية التي انفصلت عنه منذ عامين...فتاة ينتظر بفارغ الصبر نهاية العام الدراسي حتى تلتحق بجامعة القاهرة ويتمكن من رؤيتها بانتظام...كانت تتحدث معه عنها بسعادة فقط لأنه كان سعيدًا وهو يحدثها عنها...كانا ينتظران أمرين: شفاء جدتها الذي لا يأتي أبدًا واتصالات ابنته التي عادت أخيرًا...

وبدأ يتغير.. وبدأت البدايات الجميلة تتحول لليالٍ من الانتظار...وبدأت القصص تتدخل بهدوء شديد لألبوم الصور... تيقنت أنها تصنع ذكرى جميلة لا أكثر...وتذكرت قول جارتها حين رأته خارجًا للمرة الأولى من بيتها: (هذا الرجل يشبهك كثيرًا... فاحذريه) ولم تفهم شيئًا لكنها اليوم بدأت تدرك أشياء مختلفة... ربما كان هذا التشابه في الملامح هو ما جذبه إليها وأبقاه معها

حتى الآن...مؤخرًا توقف عن مناداتها باسم ابنته...وأقلقها ذلك كثيرًا...لكن شيئًا ما كان يجعله حريصًا على أداء دوره معها كاملاً...الاتصالات في موعدها لا تتغير...والزيارات ودعوات الغداء الأسبوعية...لكنه كان أكثر شرودًا وبرودًا في كل مرة...كان شيئًا ما يدفعه نحوها وبعيدًا عنها...

في صباح يوم مختلف رأتها إلى جواره في السيارة...كانت مجرد صدفة لا أكثر...سرى في جسدها تيار كهربائي غريب أصابها بالدوار...كانت ابنته تشبهها جدًّا...لم يلحظها...وفي المساء حين اتصل بها لم تتمكن من مواصلة الحديث طويلاً حتى قالت:

- إنها تشبهني جدًّا...
- رأيتها؟
- اليوم صباحًا...
- جميلة مثلك تمامًا...
- إذن قُضي الأمر...
- أنا أحبك حقًّا...شخصيتك تختلف عنها تمامًا لكن هذا الغلاف السخيف الذي يجعلني أراها هنا يشعرني بالإثم كلما التقينا...

- كما يشعرني بقشعريرة الخطيئة دون وجود الخطيئة...
- هل نحاول من جديد؟الكثير من الجمال بيننا...
- مريم بيننا وهذا يكفي لأن نكتفي...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الورقة الرابحة

على عكس كل توقعاته كان الصباح صحوًا جدًّا...اختفت كل الغيوم من السماء مع ظهور الشمس فجأة...فاجأته نافذته بأخبار جديدة...هذا الصباح الجميل ليس لك...نعم فقد قرر الانتحار اليوم...الشيء الوحيد الذي جعله يؤجل تنفيذ قراره منذ شهرين هو موعد عودة أمه من رحلة الحج..يجب أن يخرج من العالم كما جاء إليه علَّه ينجو من الحساب على كل شيء فعله أو فُعل به...سيعيد الأحداث كما كانت تمامًا أول من رآه هو أمه وهي أيضًا آخر من سيسمع دقات قلبها...كم يتمنَّى لو يتذكر كيف كان الأمر في رحمها...لو كان الأمر سيئًا لما بكى حين ترك مملكته... بدليل أنه مقبل على الانتحار دون أدنى خوف من المجهول...حين لا يؤذيه الشيء لا يتوقع منه الأسوأ أبدًا...اندهش أثناء أفكاره كيف لم يتغير كل هذه السنوات الخمس والثلاثين منذ ولد...

ارتدى ثيابًا بيضاء...تشبه تلك التي دثروه بها منذ جاء للحياة في مثل هذه اليوم...ولأول مرة منذ خمسة أعوام رأى ملامحه بوجه حليق...بدا لنفسه أصغر سنًّا رغم ثلاثة تجاعيد مجهرية أسفل الذقن لا يعتقد أن أحدًا يمكنه رؤيتها سواه...غمر وجهه بالماء الدافئ...للمرة الأولى يشعر أن للماء رائحة مميزة...

تعجب من أنفه...ظن أنه يوشك على تلقي الأنفلونزا...فرك أنفه بيديه... لكن رائحة الماء مختلفة فعلاً عن الرائحة التي تَعْلَق بأغشية أنفك قبل الإصابة بالأنفلونزا... تساءل: تُرى هل للماء رائحة ندركها حين نولد قبل أن يغمرنا مرارًا داخلنا وخارجنا؟

ارتدى خُفًّا أبيضًا وحمل البالطو الرمادي على كتفيه...خرج مترجلاً درجات السلم ببطء... شعر أن لا رغبة لديه في تحريك قدميه وكأنه على وشك نسيان المشي...بل إنه أوشك على أن يطلب من جاره أن يساعده على المشي متعكزًا على كتفه...ألقى تحية الصباح على البواب...رد البواب التحية وأعقب:

- الجو اتعدل أخيرًا...خارج تشم هوا يا بيه؟

- خارج أنتحر...

- ربنا معاك يا بيه...أطلبلك تاكسي؟

لا يعلم هل فعلاً لا يسمع كثير ممن حوله كلامه أم هم كذلك مع الجميع؟ لكنه سعيد بجملة (ربنا معاك هل يمكن أن تستجاب دعوة هذا الرجل الذي لم يسمعه؟ بيت والدته قريب من بيته... يذكر كم بكت حين قرر أن يستقل بحياته في شقة جده بعد وفاة الجد...كانت إحدى محاولاته لتغيير حياته دون فائدة...هو سينتحر لأنه ملَّ من كونه كائنًا متطفلاً على الحياة...لا يصنع

شيئًا ولا أحد يصنع له شيئًا...ذاهب هو لأمه بلا هوية ولا هاتف ولا نقود...

استغرب شمس الصباح التي تغمره...أدهشه كيف عليها أن تطلع فقط ليبدأ كل شيء من جديد كأن أيامًا لم تكن...مرَّ بصاحب المقهى الذي اعتاد أن يقضي ليلات الصيف الحارة على رصيفه وحيدًا...سأله:

- جزمتك اتسرقت تاني على باب الجامع؟ آه من ولاد الحرام...
- لا...
- طيب ناسي الجزمة فين يا بيه؟
- رايح أنتحر من غيرها...
- أول مرة تنتحر شكلك...

وراح في هيستيريا الضحك...على هذا الرصيف طالما راقب مجموعات بعينها من الأصدقاء تجتمع كل يوم...يتقاسمون قصصًا دافئة رطبة كأكواب الشاي الصيفية بين أيديهم وقطع الشطرنج المتناثرة أمام وجوههم...لم يرغب أبدً في أن يكون ضمنهم لكنه لم يتوقف عن التساؤل: لماذا لا يوجد أمام طاولته سوى كرسي واحد

يجلس عليه هو؟ تمسحت قطة صغيرة رمادية بجسدها اللين في ساقه وهي تموء في دلال...كأنها تطلب الدفء منه...انحنى... نظر لها...فولَّت عنه مدبرة في صمت...ذكرته بزميلات عمله...هو موظف العلاقات العامة الذي يقص كل الأخبار من الجرائد كل صباح دون أن يلتفت أحد لأخباره...حتى فتيات السكرتارية اللاتي يزرنه كل يوم أكثر من مرة يلقين التحية فقط...كتلك القطة... يقتربن ليبتعدن...

وصل لبيت أمه...عليه فقط أن يعبر الطريق...سيتناول جرعة السيانيد في حضنها...إيمان غريب لديه بأنه سيعود كأن لم يأتِ... حاول إعادة الشريط يوم عيد ميلاده كيوم ميلاده قدر الإمكان... لم يفعل شيئًا... سيبكي بين يديها فقط ويرحل...كما جاء وبكى بين يديها ولم يفعل شيئًا...نظر للطابق الرابع...كعادتها...تفتح كل النوافذ نهارًا حتى في الشتاء الغائم...لفت نظره صياح (كتكوت) ضعيف الصوت...كادت أن تصدمه سيارة لم ترَ صغر حجمه بالتأكيد...رمى جسده على (الكتكتوت) محاولاً إنقاذه تلقائيًّا... وفوجئ بجمهرة من القوم حوله...تحاول التأكد من سلامته (أنت بخير يا أستاذ؟) (فيه مستشفى قريب...) (عربيتي قريبة أوصله للمستشفى؟) (هو شايفنا يا جماعة؟) (محدش يحركه...أنا دكتور...أخاف يكون فيه كسور...) (حد برضو يلبس أبيض بعد أيام مطر...أهو اتشلفط يا حرام؟).

اكتشف بين وجوههم أن هناك من اهتم لميلاده وهناك من يهتم لموته...أدرك فجأة أن هناك ما يستحق أن يحافظ على الروح من أجله...فلو كان كل هؤلاء يرون فيه موته ما يهمهم فليؤجل الموت...قد تكون هي الورقة الوحيدة الرابحة في حياته... وحتى لو كانت فهي تكفي...وهذا بعض من عظمة الله...

بين الوجوه ظهرت أمه تصرخ...تكلَّم أخيرًا: (جيت أسلم عليكِ...ممكن أرجع أسكن معاكِ؟).

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

امرأة للحب الأول فقط

يقف كل مساء كعادته على رصيف المترو منشغلاً بعدّ المارة الذين يدخلون العربات على الرصيف المقابل قبل أن يدخل هو... مرت به...مسرعة الخطى على نحو مرتبك...خلَّفت سرعتها عاصفة عطر رقيقة...شعر أنفه بالدلال وحواسه بالخدر...لم يلحظ منها سوى ثوبها الأحمر الحريري بعد أن وَلَّتهُ ظهرها منطلقة نحو عربة السيدات...أما هو فقضى ليلته كلها يحلم بذات الثوب الأحمر وعطرها المزعج...وحين نام لم يحلم بشيء على الإطلاق وكأن الأحلام هجرت نومه لواقعه بظهورها المفاجئ البسيط جدًّا كالنار في صورتها البدائية...وهو إنسان الكهف الذي يفرح في كل مرة يصنع فيها حريق صغير.

في المساء التالي مرت به ثانية...ألمت به حالة الخدر ذاتها لكنه استطاع أن يرى ملامحها الدقيقة وسمارها الذي يستطيع أن يصنع ما لا يستطيع القمر صناعته...واستطاع أن يرى تلك الفتاة منفعلة وهي تتحدث في هاتفها وتترجل من عربة سيدات المترو... وكأنها تنهره...لماذا لم يقترب؟

توالت لقاءات أربعة في مساءات أربعة...استطاع أن يحفظ مواعيدها وطريقتها في دخول منطقة رصيف الانتظار...حتى أنها

كل مساء تترجل من المترو منفعلة في حوار هاتفي...قرر أن يقترب في اليوم الخامس...انتظرها قبل نزول السلم المؤدي للرصيف الذي تعودت استخدامه...حيًّا وسلَّم...فابتسمت...اندهش...لكنه ظن أنها أيضًا كانت تلاحظه وتنتظر أن يحدثها...قال في ارتباك: (لديك بعض الوقت؟) نظرت في ساعة هاتفها...لاحظ صورتها الجميلة بالثوب الأحمر على خلفية الجهاز...ابتسمت ثانيةً وقالت: (لديَّ نصف ساعة).

اتفقا على أن يمشيا معًا حتى محطة المترو القادمة... كانت القاهرة المزدحمة في التاسعة مساءً تشبه صديقته كثيرًا... بعصبيتها وأثوابها الموجة وجمال ملامحها الدقيقة في نهر وجهها الحنطي...كانت وارفة الجمال الدافئ كحقول قمح لا تنتهي... قالت دون مقدمات:

- اسمي (لُبنَى) أعمل بائعة في محل يبيع العطور...وأنتَ؟
- نور...مصمم جرافيك...لم أكن أعلم أنك تلاحظينني...
- ومن قال أنني ألاحظك؟
- لأنك قبلتِ السير معي.

obeikandl.com

- إن كنت مهتمًّا بمعرفة الأمر...أنا لم ألاحظك ولم أقبل السير معك لأنني لاحظتك...قبلته لأنك تستحق أن أسير معك...طريقتك في العرض وإحساسي نحو كلماتك...

صمت محاولاً ابتلاع الصدمة...فتلك هي المرة الأولى التي يصادف فيها فتاة كـ (لُبنَى) يعرف بالتأكيد أن مثلها كثيرات لكنه لم يلتقِ بإحداهن...قال:

- وإن كنتِ مهتمة يا لبُنَى...أنا سعيد أنك قبلتِ...

- سنكررها غدًا؟

- بلا شك...إن أعطيتني رقم هاتفك...

وبينما كان مبتسمًا غام وجهها مع ذكر رقم الهاتف...سألها عن السر...قالت:

- غالبًا يستخدمون الهاتف كي يعبرون عن سعادتهم بالبدايات لكنه أيضًا أداتهم المثالية لقول (مشغول... وداعًا).

- أعدك...ربما أقول «مشغول» لكنني لن أقول «وداعًا» عبر الهاتف...ولماذا الوداع!

- من يدري؟ بالمناسبة أنا كنت ماهرة بما يكفي للوقوع في الحب الأول تسع مرات حتى الآن...أستطيع أن أجد حبًّا مختلفًا كل مرة لا يستحق أن يكون تاليًا لآخر لأنه لا ينتمي له مطلقًا...والوداع كان هاتفيًّا كل مرة...

- لديَّ واحدة من التسع...

مر الوقت بسرعة كعادته حين يلقى فتاةً للمرة الأولى...رحلت لبنى وتركت غلالة ثوبها الأحمر في عقله...ولأول مرة بدأ يحلم بها...كانت تضحك طوال الوقت في رؤياه حتى أنه استيقظ على أرض الغرفة...مما جعله يظن أنه كان نشيطًا جدًّا داخل الحلم وخارجه...

توالت لقاءاتهما الكثيرة...وصار المساء يمر أسرع كل يوم عن سابقه...وقعت لبنى في الحب الأول للمرة العاشرة...لكنه لم يحبها...مع ذلك لم يتمكن من وداعها أبدًا...لأنه في كل مرة يلقاها يشعر بأنها المرة الأولى...ولأنه لا يستطيع أبدًا أن يقول لها في الهاتف «وداعًا»

●●●

بالحب وحده أنت غالي عليَّ

نصحوها أن تبحث عن آخر...فلا يمحو الشيء إلا الشيء الذي يشبهه...إن كانت مصابة بافتقاد رجل فلتبحث عن آخر... لكنها لم تكن مقتنعة تمامًا...فكيف يمكن أن تقع في الحب بالأمر...وكأنما تحرك قلبها بجهاز تحكم عن بعد! لكنها وجدت الفرصة مواتيةً اليوم...

تغيرت كل الأمور في فندق اختارته لقضاء يوم صيف حار في الساحل الشمالي...كانت درجة الحرارة تزيد على ٣٥ درجة مئوية...وعصير الليمون بالصودا المثلجة رائع جدًّا كشهادة ميلاد شرعية للحظات نشوة مختلسة...حمام سباحة الفندق مكتظ بطلاب لمسة باردة على جلد ساخن...وهي تجلس إلى طاولة لفرد واحد بعيدًا عن حوض السباحة...تشرب عصيرها في هدوء... وتحاول إشغال نفسها بمراقبة الناس حولها...

تقدم منها يرتدي شورتًا يصل لركبتيه ويغطى كتفيه بفوطة... سألها بابتسامة جذابة:

- كم الساعة من فضلك؟

- الحادية عشرة والنصف.

ثم مدد جسده على شيزلونج قريبًا من حوض السباحة...لم تستطع أن تسيطر على حالة انتابتها...أخذت تسترق النظر إليه من خلف نظارتها السوداء...ولم تعلم أنه هو الآخر كان يراقبها من خلف نظارته...بدا كأنهم على حق...فقد نسيت تمامًا أمر خطيبها (حسام) ومعاملته الجافة وتجاهله المتكرر لها بحجة انشغاله في عمله...لم يتحرك ولم يفعل شيئًا سوى الاستلقاء على الشيزلونج...وهي تشعر بقشعريرة ولذة لمجرد مراقبته... فجأة اقترب منها مرة أخرى... خافت...بدا لها أنه لاحظ كيف تراقبه...سألها:

- كم الساعة من فضلك؟
- مرة أخرى؟
- لأنه تأخر كثيرًا...
- الساعة الثانية عشرة...وحاول أن تتصل به...
- ماذا تشربين؟
- آيس صودا ليمون...لماذا؟
- أريد أن أطلب مثله...لأنه تأخر...

تصنعت أنها تضايقت من محاولته الكلام معها...من داخلها ودَّت لو أطال الوقوف...كان مجرد امتداد ظل جسده على وجهها يسعدها سعادة مجهولة المصدر...وانسحب متباطئًا...وبعد دقيقتين عاد إليها...وما إن اقترب حتى ضحكت بصوت مسموع...أصابته بالإحراج لكنه لم يرحل...قال بجرأة:

- بصراحة أريد الحديث معك بأي شكل حتى لو أردتِ الشجار معي...حتى لو لم أسمع منك سوى الإجابة على سؤال: «كم الساعة من فضلك؟»
- تبدو متحدثًا لطيفًا؟
- وهل سيفيدني ذلك؟
- طبعًا...إن دعوتني على كأس آيس صودا آخر...
- دوبل صودا وليس فقط صودا...

قضيا وقتًا لطيفًا...لم تذكر حسام أبدًا...وكانت سعيدة كما لم تكن منذ فترة طويلة تزيد على الستة أشهر...تناولا الغداء معًا...ودعاها مساءً لحفل عزف منفرد للكمان بطله صديقه الذي قابلهما صدفة...

وفي نهاية المساء أوصلها لغرفتها...فضلت الصراحة...قالت:

- بصراحة أنا أردت أن أنسى بك آخر مؤقتًا في البداية... لكن هذا كان في البداية فقط... أقسم لك...
- لست صغيرًا ولا غبيًّا حتى يغيب عن عينيَّ خاتم الخطوبة في يدك اليُمنى...مع ذلك أعلم أنني أملك فرصة كبيرة كي تحبينني...ربما...
- أشعر أن هذه الـ (ربما) لها حظ عظيم الآن...
- أنا أيضًا جئتك لأنسى فأنسيتني ما جئت كي أنساه... لكنك لم تلاحظي خاتم خطوبتي...
- إذن...
- التقينا في وقت مناسب...
- لكن هذا لا يعني أننا قد نكمل للنهاية...
- ربما...

كانت متعبة جدًّا...خلعت خاتمها ثم أخذت حمامًا ساخنًا استعدادًا للحلم بخاتم جديد...آمنت تمامًا أنك لا يمكن أن تأخذ أجازة من الحب...لو خرجت من حب فإنك لا تعود إليه أبدًا...

ولا حب يمكنه أن يكون محطة راحة...فالحب حين يأتي يأخذ كل شيء وحين يرحل يختفي تمامًا ولا يعود...هذا الشاب الجميل سيقع في حبها وهي لم تعد قادرة على حب حسام أبدًا بعد اليوم...وشدت أم كلثوم في رنين هاتفها: (بالحب وحده أنت غالي عليَّ) فردت بابتسامة عريضة...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

هويدا

جميلة كقطعة سكر...وهو طفل يهوى الحلوى...هويدا... زميلته في المدرسة...لم تبدأ علاقته بها على نحو طيب أبدًا... ففي أول خمس دقائق قضاها كتلميذ في الصف الأول كسرت القلم الجميل الذي اشترته له جدته...بكى كثيرًا لكن هويدا كانت تضحك...قالت له: (أنت طفل...الأطفال فقط هم من يبكون).

هي لا تعلم أنها حطمت قلبه مرتين...مرة لفقدان هدية جدته التي يحب...ومرة لأنها اتهمته بالضعف والطفولة...لم تندهش أمه حين رفض الذهاب للمدرسة في اليوم التالي...فالكثير من الأطفال يكرهون المدرسة ويتمسكون بالبقاء في المنزل في بدايات الدراسة...لكن سعد رفض الذهاب للمدرسة لثلاثة أيام متتالية... حتى أن أبوه قلق...حاول أن يستفسر منه برفق عن السبب أكثر من مرة...لكن الطفل شعر بحرج كبير في أن يخبر والده أن فتاة جعلته يبكي...

أجبروه على الذهاب للمدرسة في بداية الأسبوع الدراسي الثاني...لم يجد بدًّا من أن يحكي لأمه القصة في طريقهما للمدرسة...واندهش حين طمأنته بابتسامتها الجميلة وقالت: (المدرسة بها ألف فصل يا حبيبي) وبالفعل أخبرت إدارة المدرسة بالقصة ونُقل سعد لفصل جديد لا توجد فيه هويدا...

لكن هويدا ظلت شبحًا يطارده...كان طفلاً لا يبكي أبدًا خوفًا من تكرار قصته معها...واستمر التواصل بينهما وجدانيًّا حتى عادت من جديد...كان زفاف ابنة خالته مزدحمًا جدًّا... ومليئًا بأطفال لا يعرفهم...قضى وقتًا جميلاً معهم...انتهى الزفاف وبقيت طفلة واحدة تبكي...كانت هويدا...انصرف أبوها ظنًّا منه أن أخاها اصطحبها معه...وبقيت وحدها لا تعرف أحدًا...

أقبل نحوها في حركة تلقائية...شعر ببطولة مفاجئة:

- لماذا تبكين يا هويدا؟
- أريد أن أذهب لبيتي...ماما وبابا تركوني...
- لا تخافي سأوصلك...بابا هناك ويعرف كل المدعوين...هو يعرف أبوكِ بالتأكيد...

اتصل أبوه بوالديها القلقين جدًّا...اشترى لها سعد غزل البنات ثم أوصلها مع أبيه...وطلب من الطفل أن يصعد معها للدور الثالث ويطمئن أنها وصلت لبيتها...سار خلفها في هدوء يطابق هدوء الليل بعد الواحدة صباحًا...بدت هويدا مختلفة جدًّا في هذه اللحظات...بدت جميلة أكثر مما يجب أن تكون بالنسبة له...وبدت حركتها على درجات السلم كما لو كانت محاطة بضوء ملون بلون لا يعرفه لكنه يصيبه بالقشعريرة...حتى صوت وقع

قدميها كان يدق في مكان ما يرن صداه في كل جسده...توقفت فجأة...ابتسمت...قالت:

- شكرًا لك...أنا وصلت...هل أصبحنا صديقين؟

- طبعًا يا هويدا...أنتِ صديقتي الجميلة...

- إذن صافحني...

صافحها متعجلاً...ثم اختطفها عناق أمها...ظل شاردًا حتى الفجر...وظل كفها الصغير في كفه...لم يرها بعد ذلك لكنه كان يذكرها كلما شعر بإحساس جميل نحو فتاة...وكلما رأى فتاة جميلة...وحين تزوج حلم بها ليلة زفافه دون سبب واضح... اعتبرها سر حياته الجميل ولم يخبر عنها أحدًا...

بعد مرور ثلاثين عامًا التقى بها صدفة في النادي بينما كان يتمم إجراءات العضوية التابعة لابنيه التوأمين ذوي السبعة أعوام...عرفها من أول نظرة...وعرف حين صافحها أن هذه المرأة هي حبه الأول الذي لم يصرح عن نفسه أبدًا ولم يفارقه أبدًا... لماذا ابتعدت؟ لماذا لم تبقَ وتتزوجه؟ ربما كي تظل ملاكًا...

●●●

obeikandl.com

البحث عن ضحية (حنان)

هي امرأة تقتلك عند أول هفوة...تخبرك أنك أجمل من على الأرض طالما أنت ملتزم بكراسة شروط علاقتك بها.. ومادمت ملتزمًا فأنت آمن...واليوم كانت ليلة الاحتفال بأرباح نهاية العام المالي بشركتها العقارية...هي صاحبة الأمر والنهي...ولا تخش أبدًا أن تصرح بصوت عالٍ عن بداية حب أو نهاية آخر في حياتها...فهي الفتاة المدللة لأسرة ثرية لم تزعجها الحياة أبدًا... في هذا اليوم الاحتفالي كان الموظفون مشغولين جميعًا بالضحية الجديدة...

وقعت حنان كامل في حب أحد الموظفين، ولكنها لم تصرح باسمه قط...علموا أن هذا الزميل الهادئ جدًّا كان مثاليًّا لدرجة أنها استمرت في علاقتها معه لعامين كاملين...وهي أطول قصة حب عاشتها...طوال عامين لم يعرف أحد من هو ولم تتكر هي أنها تحب أحد موظفيها...فلم تكن من النوع الذي يغني بهمس... إذا غنَّت حنان أسمعت الجميع...واعتاد الجميع على تلقي فتات الأخبار بين الحين والآخر...ظهورهما معًا في حفل عائلي... شراؤها هدية ثمينة له...سيارته الغامضة التي تظهر بعد كل حفل متأخر مع العملاء لتصحبها للبيت...اتصالاته التي توقف أي

اجتماع فوراً بل وربما تلغيه...لدى صاحبة الشركة حبيب سري لأنه يريد أن يكون سريًا...وهي كعادة مثيلاتها وجدت التجارب الجديدة مشوقة حتى لو كانت مزعجة قليلة من فرط الحذر...

هذه الجميلة التي لا تغني سرًّا...لا ترحم أبدًا...علمت منذ يومين أنه يخرج بصحبة فتاة أخرى...لم تكن حبيبته لكنه لم يوضح لها الأمر...تركها تعلم من آخر ونسى أن الملكة لو لم تكن أول من يعرف فإنها لا تستحق الملك...لذا قررت أن تنتقم قبل الرحيل كعادتها...توقع الجميع أن تعلن عن خطتها للانتقام منه في حفل اليوم...

كان سكرتير مدير الشئون المالية يقف مع مجموعة السكرتيرات الجميلات كعادته...قالت إحداهن لزميلتها:

- أنا عرفت الرجل...أظنه المهندس الجديد...فهو الشخص الوحيد الذي التحق بالعمل منذ عامين بالضبط...وسيم لكنه هادئ جدًّا...لا أحد يعلم حتى الآن أين يسكن...

- لا أظن...هذه المرأة تعشق الصخب...كيف ستصبر على (أبي الهول) هذا؟ أنا طلبت الطلاق من زوجي لأنني لم أعد أحتمل صمته وبروده فكيف بها وهي حنان كامل...

- إذن من المؤكد أنه أحد العملاء...فجميع الموظفين هنا لا يستحقون...

- هو بالتأكيد مدير الشئون المالية...ألا تذكرين أننا عزيناه في زوجته منذ عامين؟ أرمل وحيد...أظنه يلائم امرأة مسيطرة...

- لا يمكن...هذا الرجل لا يفهم في التعامل مع النساء أبدًا...هو من قتل زوجته بالتأكيد...

- وهذا هو الجديد...نساء الطبقة الراقية يبحثن دومًا عن الجديد ويسمونه (Original)...

- كل هذا لا يهم...ما يهم هو أن هذا الرجل على وشك أن يتلقى الوعد المحتوم...على وشك أن تنتقم منه إحدى السيدات القويات جدًّا في المجتمع...

- هذه المرأة كالأفعى لا تترك فأرًا ولا ثعلبًا...تصطاد كل ما تطوله حواسها...

فجأة ثار زميلهن السكرتير في وجههن: (هذه المرأة أفضل منكن جميعًا...على الأقل لم تكذب على رجل...كل من يدخل القصر يعرف بروتوكولاته على فكرة...أما من يدخل الزقاق

فعليه التعامل مع القطط الضآلة ومفاجآتها المزعجة) صاحت السكرتيرات الأربع معًا: (هو أنت يا سامح؟) فتركهن مختارًا الصمت...

لم يحدث شيء في الحفل ولا بعد الحفل...ولم يسمع أحد خبرًا واحدًا حتى عن حبيب حنان بعد ذلك...لكنها لم تنتقم من أحد...أخبرتهم بعد شهور أنها أخيرًا تفكر بالزواج...

●●●

obeikandl.com

عفوًا لن أتكلم

وجدت الفرشاة صعوبة وهي تنساب بين تجاعيد عينيها... غارت بعض ألوان الظلال في أخاديد من الصور الجميلة...وانساب الكحل يرسم طريقًا فاتنًا لنظرة شقية لم تكبر...مازالت عيناها جميلتين...أحمر شفاه زهري ارتجف مرارًا كلما حاولت التدرب على خطاب الشكر الذي ستلقيه بعد ساعات معدودة...يبدو أنها اعتادت الصمت أو أن الصمت يقول أكثر...

طرقات ابن أختها على باب غرفتها...دعته للدخول...

- جميلة بحق...
- لا تبالغ...متى كان هناك جميلات بعد التسعين؟
- الآن وأنا أراكِ أمامي...
- لم أعد أستطيع مشاهدة تفاصيل أفلامي التي مثلتها... هل مازلت أُشبِهنِي يا كريم؟
- مهما طال بنا العمر نظل نشبه أنفسنا...
- تعودوا على رؤيتي صامتة بلا صوت...من الأسهل أن أدَّعِي الخرس...فالكلام صعب جدًّا يا بُنيَّ...

obeikandl.com

قبل أن ترتدي ثوبها العنابي الجميل أخذت تراجع أشرطة أفلامها الصامتة الثلاثة...هي الشخص الوحيد الباقي على قيد الحياة...كانت طفلة في الحادية عشرة من عمرها...موهوبة في جذب الآخرين بعينيها الواسعتين الشقيتين...لذا جذبت ابن عمها المُخرِج لأن يكلم الجمهور بعينيها...وفعلاً كانت شريفة صدقي الطفلة التي حركت الأحداث بصدق عينيها البريئتين...حاولت بالأمس أن تدقق النظر في وجه تلك الطفلة لكن عينيها لم تسعفاها...هي فقط تريد أن تعرف هل ما زالت تشبهها...

ارتدت ثوبها المساير لخطوط جسدها القديمة في حنان...يتسع حين تتسع أمارات السن الكبير ويضيق حين تضيق الأمارات... لم يكن للسينما بريق في الوقت الذي مثلت فيه شريفة...فأفلامها الثلاثة إنتاجًا أهليًّا في باريس...عُرِضت في صالات عرض يملكها أصحابها...لكنها اليوم بعد مرور ما يقرب من ثمانين عامًا تجد صورها في صفحات الكثير من المجلات وبرامج التليفزيون كآخر من بقى من السينما الصامتة في البلاد...ظهرت صورتها إلى جوار صورة تلك الطفلة التي كانت ومع ذلك لم تعرف هل مازالت تشبه نفسها أم لا!

هي تذكر كل التفاصيل الماضية لكنها رفضت السماح بإجراء أي حوار إعلامي معها...لم يكن هناك سببًا واضحًا لذلك...لكنها

ترفض بشدة...تعتبر أن التواصل مع هذا العالم الجميل بالكلام يفسده على نحو ما...حتى أن ابن عمها طلب منها في أحد مناماتها الكثيرة هذه الأيام أن تصمت عن السر...لذا صمتت...

دقات ابن أختها على الباب مرة أخرى...تعلم أنها تأخرت... دقت الساعة سبع دقات في الخارج منذ فترة...كانت وحيدة منذ مات زوجها من عشرين عامًا حتى دعاها ابن أختها لتقيم مع أسرته بعد عودته من لندن...هو أجمل ما حصلت عليه...تحكي له كل ليلة عن أفلامها الثلاثة وعالمها القديم ولا يملّ حتى تغرق هي في النوم...

كان ينتظرها في سيارته...جلست إلى جواره...كانت زوجته تجلس خلفها...ربتت على كتفها...قالت: (تبدين جميلة).

في المسرح المفتوح بالأوبرا جلست في الصف الثالث وحدها... حيث أوصلها المضيف برفق...طلبت أن يكون ابن أختها معها... رفض المضيف بداية ثم تحت تأثير سحر سنِّها مع عينيها المُعبِّرتَين ببراءة وافق أن يغير مكانه ليجلس خلفها تمامًا...سيكرمونها بعد قليل كأحد رواد السينما...هي الناجية الوحيدة من عصر سينما تحترم الصمت...تأكدت من خطاب الشكر في حقيبتها السوداء الصغيرة...بدأت المراسم...الكثير من الخطابات والكثير من

الموسيقى... كانت منزعجة جدًّا من كل هذه الضوضاء رغم جمال وإبهار الألوان والحركة...حتى أنها لم تلتفت لاسمها حين طلبوا منها الصعود لاستلام درع التكريم...ربت المضيف على يدها كي يوصلها لأعلى المسرح...لكنها طلبت أن يتولى ابن أختها ذلك... تسلمت الدرع...صفق الجميع في هيبة حضرة الزمن مجسدة فيها...أعطت الدرع لمرافقها...شرعت في قراءة ورقة الشكر... لكنها لم تتمكن من الكلام...انتظرها الجميع بلهفة...تصدرت عيناها المُعبِّرتَان عن الذعر والحزن كل الكاميرات...تجمدت... بكت وتركت المسرح...تسلم ابن أختها الميكروفون قال: (اعذروها فقد شكرتكم بطريقة الفن الذي كرمتموها عليه).

في اليوم التالي تصدرت صورة عينيها بعض الصحف وتحتها خبر دخولها غرفة العناية المركزة...كتب صحفي مشاكس في إحدى الصحف: (قلبها الصغير لم يتحمل عالم لا يحترم سوى الضجيج).

●●●

تغيير إيقاع

كانت امرأة تتذكر المستقبل...تمر بها اللحظات بلا جديد... تشعر كثيرًا أنها جدتها...وأنها لا تفعل أي شيء سوى انتظار تلك الحياة التي عاشتها الجدة على جرعات مكثفة أو عينات صغيرة من الألم والنعيم...وفي معظم الوقت تتأقلم مع الشعور الحيادي الذي تحول لرائحة تستوطن كل أركان حياتها يوميًّا...واليوم وهي تحضر حفل تخرج ابنتها من المدرسة الثانوية تغير إيقاع المستقبل للمرة الأولى...حدث ما لم تستطع تذكره...

عيناه الحادتان صارتا أكثر جمالاً خلف زجاج نظارة طبية... نظر لها بطيبة وفرح معًا...اكتشفت للمرة الأولى أنها أقصر منه كثيرًا لأنها تخلت عن صديق وَفِيّ (الكعب العالي) اقترب منها وأضواء كرة الألوان الكريستالية تنعكس في بهجة على خصلات شعره البلاتنية...صافحها بحرارة...كانت وحيدة في الحفل وهو كذلك...

- كم سنة مرت؟ ياه...تغيرتِ كثيرًا إلا عيناكِ...

- ثلاثون سنة...تركنا المنصورة من ثلاثين سنة...وأنت تغيرت عيناك لكنني أراك كما أنت...وهذا يضحكني...ابنتك أيضًا تتخرج؟

- نعم...هي الشقراء الجميلة هناك...لو لم تمانعي...هل يمكننا الخروج في استراحة المعلمين...لم أعد أحتمل ضوضاء الموسيقى كالسابق...أنا كبرت جدًّا...

كان يتبع حركة قدميها...ومع كل خطوة يصغر عامًا...في استراحة المعلمين كان قد عاد مراهقًا في الخامسة عشرة من عمره...كما تركته وكما تركها...قال:

- أنا مدرس الرياضيات على فكرة...كيف لم أرك قبل ذلك؟

- آه عرفتك...ابنتي تعشق حصصك...والدها كان يحضر مجالس أولياء الأمور...هي المرة الأولى التي أحضر فيها... سافر لندن فجأة في رحلة عمل...

- خسارة...ثلاث سنوات مرت ولم أعرف ابنتك...

- (منال كامل) حصلت على الترتيب الثالث على المدرسة العام الماضي...

- طبعًا أعرفها...ونعم الفتيات...فتاتي صديقتها (علا).

صمتا قليلاً ثم ضحك هو فجأة:

- أما زالت طائرتنا عند القمر؟.

- ربما...عندما خطفها الهواء ولم تعد تأكدنا لفترة طويلة أنها وصلت للقمر...

- كنا نظن أن كل شيء يرتفع للأعلى يصل للقمر لأنه طيب...

- من يستطيع أن يجزم أنها لم تصل للقمر؟ بحسابات بسيطة يمكن تحويل جسدها لجزيئات ثم ذرات ربما تسربت من ثقب الأوزون...

- أنت دائما تكون على حق حتى لو قلبت الحقائق...

- أتذكرين أول قطة ربيناها معًا؟ كانت تحب الخيار حتى أنني ظننتها ابتلعت فأرًا مازال حيًّا في بطنها...القطة النباتية الوحيدة التي صادفتها...

- أتذكر يوم ماتت؟ كنا حزينين لدرجة أننا نمنا إلى جوار قبرها تحت شجرة الليمون ليلتين تعلمتُ الصلاة حتى أصلي لها...

- لكن مراقبتها علمتني كيف أتسلق سور الحضانة...

- وعلمتني كيف أرسمها...أنا مصممة جرافيك حاليًا على فكرة...

- لطالما كنت رسامة موهوبة...

- لم أعلم ذلك حتى الصف الأول الثانوي حين رسمتك...

- كنت أنا الموديل الأول...ليَّ الشرف...

ضحكا...جلب كوبين من عصير البرتقال...اعتذر لانشغال كل العمال مع الطالبات في قاعة الاحتفال...كان صوت الموسيقى عاليًا لكنه لم يعلُ على صوتهن...قالت:

- رائع أن يعشن هذا الوقت السعيد...

- من يدرى؟ ربما لو بقيتِ أربعة أعوام أخرى لكانت منال ابنتي...

- رائع أنني لم أبقَ...أذكرك دائمًا هذا الفتى الذي جلب لي أول وردة وأول قطعة شكولاتة...ولم أذق مثلها حتى الآن...

- أذكرك كلما رأيت قطعة شكولاتة...يومها تركت الهدايا على باب شقتك في طريق نزولي من بيتنا...

- وفتح أبى الباب وظل يحقق معي طوال اليوم...لكنني سرقت الشوكولاتة...

- أكلناها معًا...ورسمتني يومها...

- مازلت أحتفظ بالرسم...

- أحتاج أن أراه جدًّا...جدًّا...

- لن أمانع...

- رحلتي فجأة...عدت من الإسكندرية ولم أجدكم...

- كي لا تتذكرني بألم اللحظة الأخيرة...

انتهى الحفل بسرعة...تبادلا رقميّ هاتفيهما...ركضت الفتاتان نحوهما في سعادة كبيرة...شعر كلاهما أن الأمور تسير كما يجب أن تسير...لكن غصة في القلب كانت تحركهما نحو سؤال مستفز: (كيف سمحا لنفسيهما بأن يخسرا كل هذه البهجة مع السنين؟).

في المساء اتصل بها...سأل عنها...وطلب منها أن يزورها مع زوجته عند عودة زوجها... شعرت بأن البهجة يمكن أن تعود... وأنها لن تتذكر الحياة بعد ذلك...فقط لأن طفلة داخلها عادت للحياة...أما هو فكان سعيدًا لأن تلك الطفلة التي كانت تلقاه كل عصر على درج منزل عامر بالدفء ستأتي لا محالة ولن تهرب من جديد...

●●●

obeikandl.com

قرارات جينا

ظنت جينا رمزي أن الهروب من الفردوس يكون لأجل البحث عن طريق...تخيلت أن أي طريق سيكون أفضل مادام الطريق مصمم في الأصل من أجل الحركة...منذ ولدت حتى الآن تسمع جملة تغيظها (بنت حلال...هادية وما لهاش حس) فهي لم ولن تكون هكذا وإنما تصمم نساء العائلة على تسويقها على هذا النحو حتى تتزوج...عملت أخيرًا (كاشيرة) في مركز لبيع ماركات العطور العالمية...وبالفعل (من جاور السعيد يسعد) تغيرت حياتها بمجاورة فندق خمس نجوم لا تتوقف الوفود السياحية المختومة بختم الاتحاد الأوروبي عن التردد عليه...

تتحدث الإنجليزية على نحو جيد...ليس بطلاقة ولكنها تفهم وتُفهم دون صعوبة...صادقت الكثير من الأوروبيين...كانت أمها كلما سمعتها تتحدث في (الموبايل) بهذه اللغة (التي لا يفهمها أحد) على حد قول الأم تضحك ضحكة ساخرة ثم تمضي... ظلت هادئة كما تعودوها في العائلة لكن مشاويرها كثرت وكذلك أسفارها...فهم كرماء جدًّا إذا ما شعروا بالصحبة الجميلة كعادة أي غريب...

بـدأت تشـعر بالتحـرر مـن الأوامـر رويـدًا رويدًا...لـم تختـرق مبادئها ولـم تخـرج عـن قواعدهـا التـي اتبعـت منـذ شـبت عـن طـوق الطفولـة لتبحـث عـن حيـاة الأنثـى الكاملـة الملونة...لكـن علاقاتهـا بصديقاتهـا فتـرت كثيـرًا بـل إن بعضهـا دخـل (الفريـزر) في حالـة تجمـد مؤقـت لحـين الإفـراج عنـه وإعادتـه للحياة...ظـل الأمـر كذلـك حتـى تخلـت عـن كل شـيء ركضًـا وراء حلـم تحقـق...كان جـون بـول الشـاب الفرنسـي العاشـق للشـرق هـو الخيـار المثالـي لحيـاة كلهـا طرق لا جمـود فيها...كانـت تشـتاق لحياتـه أكثـر مـن شـوقها لـه وفي خضـم الشـوق لـم تلتفـت لشـوقه هـو أيضًـا لحياتهـا...

وسـط محـاولات مسـتميتة لاسـتتابتها نجحـت في الـزواج بـه... سـافرت معـه لباريـس حيـث يمارسـون الحـب ٤٨ سـاعة في الـ ٢٤ سـاعة...كل شـيء كان مضيئًـا وخلابًـا ومثيرًا...احتفـل جـون بـول معهـا بصـدور كتابـه عـن الشـرق الجميـل بعـد الـزواج بشـهرين... وفي ليلـة الاحتفـال طلـب منهـا أن يعـودا باكـرًا لبيتهمـا علـى عكـس مـا خططـا لـه...وفي البيـت طلـب منهـا أن تكـون شـرقية كمـا قـرأ عـن (سـيدات الشـرق الخاضعـات لأزواجهـن) جـدًّا لليلـة...فوجئـت بـكل مـا هربـت منـه يطاردهـا الآن وبقـوة...وحـين رفضـت قـال لهـا: (حلمـت بهـذه الليلـة طـوال أعـوام خمسـة قضيتهـا في صحرائكـم...ليـس سـهلاً أن تلغـي الحلـم بكلمـة «لا»).

خافت...ولم تستطع الرفض لكنها لم تستطع القبول أيضًا... أدركت بكل بساطة أنها أينما ذهبت تحمل ما يرونه عنها لا ما ترويه هي لهم...تظاهرا بالنوم باكرًا...لكن أحدًا لم ينم...في الصباح قررت أن تعود لمصر...لكنها خشيت أن يرفض بشرقية... لذا جهزت كل إجراءاتها سرًّا...وعادت سرًّا أيضًا...في شرقها ستعرف كيف تقول «لا» بعد أن تُعد لها...كان يجب أن تقولها لأسرتها أولاً ولجيرانها ثانيًا ولزملائها ثالثًا...لم يعد الأمر يروقها أن تتبع اللعبة الجميلة التي تستهويها...ستصنع عالمها بيدها... اكتشفت أنها ستنزف في كلتا الحالتين...فليكن النزف بلغة تفهمها...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

لا مكان للعدالة

لماذا يجب علينا أن نلتزم دومًا بالسيناريوهات المكتوبة قبلاً ؟ وما هي درجة الخصوصية التي نحتاجها حتى نستحق كتابة لحظاتنا بأنفسنا؟ سؤالان مثلت الإجابة عليهما درجة جديدة من الحياة ومن الحرية في حياة باسمة عزيز...ببساطة حاولت أن تنزع نفسها من هذا العالم وتنظر له من خارج صورته فرأت أنها تستحق أن تستغل كل الإمكانات التي تمثلها هبة الحياة بالنسبة لها...

تقابل كل منهما مرتين في الأسبوع...الأول (نصر عطا) مصحح لغوي والثاني (ماهر الزيات) مدرب رياضي في صالة ألعاب رياضية...يسهر الأول طوال الليل في العمل على مجموعة من النصوص التي توكلها له دار نشر ليعمل على مراجعتها... وفي الصباح يسلم ما أنهى من الأعمال ويفرغ للقائها ظهرًا بعد أن تنهي عملها كمساعدة سكرتيرة صاحب شركة مقاولات... شاب خجول التقت به صدفة في حفل توقيع كتاب عن جغرافيا نهر النيل...أذهلها اهتمامه الشديد بعمله...كان حقًّا يتعامل مع الحروف كأصابع البيانو...ويستخدم تعبير (أوركسترا) بدلاً من تعبير (نص) حين يتحدث عن نصوصه...تقربت منه هي...

تواصلت معه فترة عبر الـ (FaceBook) ثم استجاب بالحضور لدعوتها له في أكثر من (Event) حول الثقافة اللغوية المعاصرة... بذلت مجهودًا مضاعفًا لكي يلتفت لها على نحو خاص...ونجحت فعلاً...صار يلقاها بصفة دورية...بل ويشتاق لها معترفًا بذلك... تحلم بأن تتطور صورتها لديه لأكثر من ذلك...

في هذه الأثناء قابلت ماهر...شاب مفعم بالطاقة والمبادرة... بينهما صديق دراسة مشترك... تعارفا من خلاله...فاجأها بوجوده الدائم في كل المناسبات التي اعتادت حضورها...أعياد ميلاد الزملاء وتمارين الركض الصباحية في أيام الأجازات وحفلات الجاز نصف الشهرية بمسرح الأوبرا الصغير...كانت تعجبه بشدة وأراد أن يقترب منها أكثر...مع الوقت صار يراها كل أسبوع مرتين...تعلم أنه قاب قوسين أو أدنى من أن يقول (أحبك) لكنها التزمت دور المراقب...حين نتقرب لشخص ويتقرب منا آخر نظن أن الحياة تصبح أسهل...بل الأغرب أنك تصل لحالة تستمد فيها الطاقة من أحدهما لتهبها للآخر...والشيء المثير للدهشة أنك تكون سعيدًا...تدير الحلقة بهدوء...بل ربما تأخذ هدية من شخص مساءً لتعطيها للآخر ظهر اليوم التالي...وتعتقد

أحيانًـا أن

هذا يعني الحصول على نصفيّ الحياة...

عـرف ماهـر بالأمـر حـين أراد مفاجاءتهـا نهـارًا بدعـوة علـى الغـداء فرآه...واجهها ...لـم تتكر...اسـتبد بـه الاسـتغراب لوهلـة ثـم

opeikandl.com

قـال:

- ألا تشعرين بالذنب ولو قليلاً؟ من أين لكِ بهذه الجرأة؟

- هـل قلـت لـك أنـي أحبـك مـرة واحـدة ؟ هـل وعدتـك بأمـر ولـم أفعلـه ؟ هـل انتظرتنـي مـرة ولـم آتِ؟ أنـا يدهشـني غضبـك جدًّا...لِـمَ السـؤال والتحقيـق مادمـت سـعيدًا؟

- منطقـك لا يتطابـق مـع الواقـع...أشـعر أننـي مغفـل تمامًـا... وتتوهمـين لـو ظننـتِ أننـي سـأغفر لـكِ دون رد اعتبار...أنـا أحـاول التقـرب منـكِ بـكل الطرق...أشـتري الهدايـا وأتعطـر وأجهـز المسـاءات الرومانسـية وأنـتِ تتحضريـن لنهـارات رومانسـية أخرى...لـو كنـت أنـا مـن يفعـل ذلـك لفهمـت الأمـر...

- ومـا الضـرر! لا مانـع لـديَّ أن تكـون لـك صديقـة أخـرى... اعتدنـا في هـذا المجتمـع أن نضيـع الوقت...نتواصـل أنا وأنت لنعـرف هـل يمكننـا الارتبـاط بشـكل دائـم أم لا...فلمـاذا لا أفعـل ذلـك معـك ومعـه في ذات الوقـت وأختصـر الوقـت الذي سـأحتاجه لمعرفـة كليكمـا علـى حـدة ! بـل والأهـم أننـي الآن قـادرة علـى المقارنـة بينكمـا ممـا سـيصوب مـن اختيـاري...

- هـذا أمـر جنونـي حقًّا...لكننـي أعلـم كيـف يمكننـا إدارة

الأمـور الآن بمـا يحقـق لكلينـا مـا يريـده...

- خطـر لماهـر أن يعاقبهـا بطريقتهـا المثلى...اتخـذ صديقـة نهاريـة جميلة...ومـع الوقـت بـدأ كلاهمـا في الحديـث عـن الصديق الآخر في لقاءاتهما المسائية...وخرج الأمر من طور الخصوصية...لـم يعـد هنـاك شـيئًا خاصًّـا بينهما...صـارا مجـرَّد صديقـين...لا يمكـن أن تحـب بـلا خصوصيـة...كانـت علاقتهمـا أشـبه بجلسـات اعتـراف منتظمة...واندهشـا حين بـدأ كل منهمـا في إخفـاء بعـض تفاصيـل علاقتـه بالصديـق النهـاري عـن الآخر...بـدأ الحـب يولـد حـين تمكـن كل شـريك مـن تقاسـم تفاصيـل لا يمكـن قصهـا علـى أحـد سـوى مـن نحـب...ولا يمكـن إدارتهـا بمنطـق العـدل البشـري...العدل الـذي يـرى أن بإمكانـك عـرض سـلعتك علـى كل مـن تعـرف وفحـص سـلعهم ومـن ثـم شـراء مـا يناسـبك...وأعلن ماهـر خطبتـه علـى صديقـة النهـار بعـد قـراءة فاتحـة باسـمة علـى نصـر بأيـام ثلاثـة...

●●●

obeikandl.com

آيات معكوسة

لأنها لا تؤمن بأنها كائن مختلف كانت حقًّا تتصرف كما تؤمن... لم ينعكس في مرآتها سوى صور الأشخاص الأسوياء الكاملين... أما هؤلاء المصابون بعقدة القوة الوهمية ويعقدونها على رقاب من يظنونهم الأضعف، فلم تكن تراهم...شابة قوية الشخصية رياضية الجسد...تسير مشدودة القامة مفرودة الكتفين...ترتطم بأذنيها بعض الكلمات ولا تُلقي بالاً...هؤلاء الرجال مريضون وهي ليست طبيبة كي تصبح مسئوليتها أن تعالجهم...لذا فليمروا كما يمر الذباب حين نمشي في مكان تكثر به القمامة...وإن لزم الأمر فلنؤذِ الذباب...

هذا ما حدث بالفعل في أول مساء...كانت عايدة تسير في طريق عودتها من صالة التدريبات الرياضية...مفعمة بالطاقة... مشتاقة لعصير البرتقال الحيادي المعطر...فجأة لحق بها شاب لم تلحظ ملامح وجهه...كعادتها سارت مفرودة القوام...لكنه كان مصممًا على اللحاق بها وإحكام رعبه حولها حتى يراها فزعة هاربة أو يرى دموعها...حينها يشعر بمتعة استخدام قوته... ويشبع عقدة نقص لديه شكلتها سلسلة من الفشل والإحباط... ذات القصة المتكررة...لكنها لم تلتفت إليه حتى امتدت يده فوق

كتفها الأيسر لقماش سويتر ترتديه...بلا تفكير أمسكت يده ولوت ذراعه بسرعة...عندما تمتد الأيدي يصبح الخطر قريبًا بما لا يدع مجالاً للتجاهل...لاسيما أنها أيدٍ بلا عقل...وسقط أرضًا يصرخ...نظرت له على أثر تأوهاته...عرفته (سيد) ابن بواب عمارة تقبع في أول الشارع الذي تسكن فيه...ركضت هاربة...

عندما عادت للبيت كان خاليًا...دخلت غرفتها مسرعة... خلعت السويتر في قرف شديد... نظرت لجسدها في المرآة...مازال كاملاً...لم يتغير...رغم شعورها بأن يده القذرة آلمتها وامتدت لأعماق جسدها...دققت النظر لوجهها...مازالت نظيفة...تستطيع استخدام ملامحها للتعبير عن كل شيء كما تريد...إذن لماذا تشعر بحالة من القرف الشديد من كل أعضائها ! اغتسلت... عادت مرة أخرى للمرآة تذكرت كلمات جدتها: (أنت «غلباوية» أستطيع إخافة الجميع لينامو إلا أنت) شعرت برغبة في البكاء... لم تقاوم...بكت حتى نامت...عندما أيقظتها أمها لتتناول العشاء استطاعت أن تتأقلم بشكل جيد مع الحياة...بل انتابتها حالة من المعنويات المرتفعة لمجرد أن ذاكرتها احتفظت بصوت تأوهاتها... هي لم تقف منتظرة فعلاً لترد عليه بل لقنت القذر درسًا قذرًا مثله...

في طريق ذهابها لعملها صباحًا...طالعها بذراعه الساكنة في الجبس...ابتسمت رغمًا عنها...شعرت بلذة القصاص...علمت من

إحدى جاراتها أنه وقع على السلم فضحكت بقوة...وقصت عليها القصة...ومنذ أن قصت القصة وحياتها تغيرت...بدأ الكثير من الرجال في التضامن من مجرم لمجرد أنه ينتمي إليهم...أما والدها فقد شجعها جدًّا عندما قصت عليه القصة:

-ما يهمني أنكِ سليمة...وهذا ما يجب أن يحدث مع كل ناقص مثله...

-ما يضايقني أن معظم الرجال سيتجاهلون كل هذه الأفعال وينظرون لي كأني «مفترية»

-وما شأنك بهؤلاء الذين يفكرون بطريقة مريضة؟ وما أدرانا أن من يدافع عن وضع ما أنه لم يرتكبه أو حتى لم يصمت عن ارتكابه؟ كلاهما جريمة...

-أنت والد لفتاة...شهادتك مجروحة يا بابا...

-لكنها صحيحة في كل الأحوال...أتعلمين أنني وحدي الآن لا أستطيع التحدث مع شخص منهم...قديمًا كانت مجرد كلمة بصوت عالٍ تشير لحادث كفيلة بأن يجتمع كل رجال الشارع ويتطوعون لضربه...

-ليست أزمة نخوة...هي أزمة انتماء...هم لا يشعرون بأنهم

يرغبون في الحياة الجميلة هنا...

-ربما...وكل ما أعرفه أن شهادتي المجروحة تطمئنني على رجولتي...فخور بك وسأظل...

- مهما كانت النتائج؟

- وماذا ستكون النتائج؟ لا تلقِ بالاً للأمر...

تطوع سيد لإخبار كل متقدم لخطبتها بالقصة بطريقته الخاصة...لم يمر أمر سخرية الجميع منه بأن (بنت علمت عليه) مرًا يسيرًا...وكثرت الأقاويل...لكنها تقبلت الأمر كعادتها بقوة وهدوء لسبب وحيد...كانت تعلم أنها ستكسر ذراع أي رجل منهم بعد الزواج...تريد رجلاً يفهم ماذا يعني العدل وماذا يعني الحق وكيف تكون الرجولة حين يرغب رجل في الزواج من امرأة...

اليوم وبعد مرور خمس سنوات...دعاها زميلها في العمل لحضور عيد ميلاده...ولبت الدعوة...عندما مرَّ بها والدها ليؤمّن عودتها للمنزل...فوجئ به يطلب يدها...وفوجئ بها تقول له: (هو يعرف القصة كلها يا بابا).

●●●

شجرة ومرآة

سليم فراج...رجل عادي جدًّا...اعتاد أن لا يتميز بأي شيء حتى التقى مجموعة من الشباب جعلوه يشعر أن الحياة أكبر من دائرة يستيقظ فيها كي ينام وينام كي يستيقظ...فجأة اكتشف أن لديه كل ما يملك الآخرون لكن (ما لا تستخدمه لا تملكه) كما تقول الحكمة الإنجليزية...قرر أن يبحث عن طريق كي يصبح أفضل في الأربعين من عمره...

حين عرَّفته (سهاد) سكرتيرته على فريق العمل الجديد الذي سيطور موقع شركته للمقاولات...وجدهم شباب لا يتجاوز عمر أكبرهم التاسعة والعشرين...لكن لدى كل منهم ما يميزه...جوائز دولية في التصميم الجرافيكي وأوسمة رياضية وفتاة كاتبة... استقروا في مكتب مجاور يفصله عن مكتبه حائط واحد...اندهش من نفسه كثيرًا حين كان يلصق كرسيه في الحائط المشترك فيشعر بأن أداءه في العمل يتحسن ويزداد نشاطه...فرض عليهم أن يشاركوه الإفطار كل صباح...لاحظ أنهم يثرثرون معًا في أشياء كثيرة ولا يلاحظون وجوده...لم ينزعج لأنه معتاد على ذلك...حتى سألته الفتاة ذات مرة:

– هل تربطك قرابة بـ (شندي فراج)؟ سمعت إنك فراج أصلي...

– لا أعلم...لم أحاول أن أعلم...

شعر بإحراج شديد لأنه لا يعلم من هو (شندي فراج) لذا لم يسألها عنه...اكتفى بأنها مقتنعة بأنه يعرف هذا الرجل الذي بدا معروفًا أكثر من أن يُسأل عنه...لكنها تابعت بحماس:

– هل تترك لي الأمر؟

– هو لك...ولنر إن كنت قريبًا له...

شعر من نبرة صوتها أن مجرد قرابته من هذا الرجل تجعله شخصًا مميزًا...حتى أنها جعلت تتحدث مع زملائها عن التشابه في ملامح الوجه بينهما وأنها قررت أن تبحث في الأمر... بعد ثلاثين دقيقة...أخبرته أنها أرسلت مجموعة إيميلات وأنشأت مجموعة على الـ (FaceBook) ثم قالت ضاحكة: (هأجيبلك قرار الموضوع).

في المساء...نظر لمرآة أعلى حوض في الحمام بعد أن غسل أسنانه...صفف شعره البُنِّي بأصابعه...استاء كثيرًا من صورته التي لم تتغير منذ سنوات طويلة لا يمكنه إحصاءها...في الصباح كان مختلفًا...غيّر تصفيفة شعره لأخرى أكثر عصرية...الجينز مع البليزر الزيتي كانا حركة تمرد بالنسبة له...فغرت السكرتيرة فاها حين لقيته اندهاشًا...حتى أنها نسيت ضابط المباحث الذي كان

ينتظره...ألقى تحية الصباح بحماس وطلب منها أن تبدأ إعدادات الإفطار لأنه جائع جدًّا...لكنه فقد الذاكرة لثوانٍ حين دخلت السكرتيرة بالخبر...سليم لم يدخل قسم بوليس إلا لاستخراج البطاقة الشخصية وظل صامتًا طوال الوقت هناك خوف أن يسمعه أحد فيفسر تحية صباح بما لا يناسبه...رجل مسالم أكثر مما يظن أي شخص...بل إنه جبان في كثير من الأحيان... كان الضابط جادًّا ببدلة أنيقة أصغر من مقاسه بدرجة...لم تبدُ جديدة لكنها بدت منظمة ورسمية جدًّا...قال:

- يمكنك أن تساعدني...أعمل على قضية (شندي فراج).
- نعم ؟!!!!! أنا لا أعرف أحدًا بهذا الاسم...
- لكن بحثك على الإنترنت عن شجرة عائلة تربطك به يقول غير ذلك...عادة تفيدنا أية معلومات عن مرتكبي الجرائم المتسلسلة...أعترف أنه قاتل ذكي لكن عملي أن أصل له مهما كان ذكيًّا (أشطر منو ووقعتهم).

استمر اللقاء بينهما خمس عشرة دقيقة...خرج الضابط وهو يشعر بشفقة شديدة على رجل أثبت أن كل وجه برَّاق لمرآة لا بد أن يصاحبه وجه خلفي مصمط رمادي لا بريق له ولا فائدة منه سوى استمرار بقاء المرآة في الحياة...لكن الأمر كان أكبر مما

ظن...شعر سليم بعد اللقاء القصير بأنه أكثر حيوية وانطلاقًا... مما جعله يشعر بسعادة غريبة بلا مصدر معروف...استعجل الإفطار...ولأول مرة كان يتحدث والجميع ينصتون باهتمام...ولأول مرة كان وسيمًا حقًّا حين يبتسم بلا تردد...سأل الفتاة عن آخر تطورات البحث...وعندما أخبرته أن بعض أقاربه تدخلوا بشكل لا أخلاقي ابتسم بهدوء وقال: (وهل يفترض أن نلتزم بالأخلاق طوال الوقت؟).

بعد مرور شهرين كان هذا الرجل الذي بدأ باحثًا عن فروع شجرة عائلته مختلفًا...نما شاربه وتغير لون عينيه...ونام نومًا عميقًا بعد حديث هاتفي مع خطيبته الحسناء عن عقار انهار بعد إتمام بنائه بشهر واحد...وطبعًا لم يخبرها أنه كان المقاول من الباطن...صار العالم يراه الآن لكنه لم يعد يرى العالم...ولم يعد يعنيه كثيرًا أن تنعكس شجرة عائلته في مرآته...

●●●

البحث عن الكراهية

ليس من السهل على الإنسان أن يعيش بلا منطق ولو لوقت بسيط...لهذا لم يستطع أن يعتبر ما يحدث له أمرًا طبيعيًّا...بل إنه لم يتمكن من البقاء رغم رغبته الشديدة جدًّا حد الألم...قرر أن يرحل وما آلمه أكثر أنها كانت غير منطقية هي الأخرى ولم تطلب منه البقاء...

تعرف على (لينا فخري) في الجامعة...فتاة في الفرقة الرابعة تستعد لحياة جديدة بعد التخرج...كل ما فيها مقبل على هذه الحياة...بدا وكأنها ستتحول لفراشة بعد الخروج من شرنقة... ليست باهرة الجمال لكنها مليئة بالطاقة...وهو (عامر عبد القادر) المعيد الذي أضاع وقتًا طويلاً في حياته يدرس أشياء تحتاج لأن تتحول لحقائق...كان طيبًا جدًّا بشهادة الجميع لكنه لم يكن غبيًّا...منذ اللحظة الأولى أدرك أن حياته ستتغير...كلما تحدث معها شعر أنها تغريه بأن يقترب أكثر رغم أنها لم تكن تفعل شيئًا على الإطلاق...لذا التزم بواجبه المهني ولم يقترب أبدًا حتى تخرجت...

بعد التخرج صارحها بحبه...طلبها للزواج...وفي اللحظة التي أخبرته فيها أنها تبادله المشاعر نضجت أجنحة الفراشة تمامًا

حتى تمكنت من أن تعصف رفة جناح بكل ما عاشه قبلاً...مرًّا معًا بتجربة فريدة...يتحدثان هاتفيًّا بالساعات كل مساء وما أن يغلقا الخط حتى يشعر كلاهما بشعور يشبه (لن أكلمه مرة أخرى...أكره ما يكون) في الصباح تشتعل دماؤهما شوقًا للقاء أو اتصال...ينتهي اللقاء أو الاتصال بالغثيان أو الكراهية...وهكذا تدور عجلة علاقتهما...

لأننا نميل دائمًا لإكمال الدوائر اللاَّ مكتملة داخل لاوعينا قررا الزواج...شعرا أن الشوق والميل الشديد الذي يعودان به يؤلم جدًّا ولا يمكن تحمله في مقابل أن الكراهية والغثيان أمران يمكن التأقلم معهما بمرور الوقت...لم يتصارحا لكنهما ضمنيًّا وهما يحددان موعد الزفاف كانا يتفقان بلا كلمات.. وبلا دماء مشتعلة...

مر الأسبوع الأول على زواجهما محتملاً بعيدًا عن بيت الزوجية...ولم يستغربا أن يخرج كل منهما في نزهة منفردة على شاطئ البحر الأبيض كل مساء...بدا وكأن الأمور يمكن إدارتها بنجاح...واستمتعا حقًّا بخياراتهما الملائمة...وحين عادا لبيتهما صار الأمر مختلفًا...

لاحظ كل منهما أنه ينظر للآخر داخل البيت ويسأل نفسه:

(من هذا الشخص؟ إنه لا يجب أن يكون هنا مع كل الألم الذي يسببه!) وتطور الأمر لشجارات مطولة...ومع نهاية شهر العسل كانت جدران المنزل حراسًا لجحيم...

افترقا بغير هدوء...كانت حكاياتهما السرية يفض عنها القضاء كل خصوصية رغم الجلسات السرية...استعذبا الانتقام من بعضهما...شعر كل منهما أن الآخر مسئول تمامًا عن ألمه... لكن الغريب أنهما ما زالا يشتاقان لبعضهما عندما يبتعدان... والتقيا في شهرين ثلاث مرات فقط بحثًا عن شعور بالكراهية والغثيان ليستمرا في البعد...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

حسابات مع المستقبل

أدرك هو مع الوقت أن الحياة تتقدم بنا...نظن أننا فقدنا الكثير من ثمارنا الطازجة وأوراقنا اليانعة...والحقيقة أننا ندخل في العمق...نصبح جزءًا من نظام التشكيل...نكتسب مع الوقت قدرة على الحكم وليس فقط على التحكم...هذه الحياة عادلة بما يكفي لأن تهبك القدرة على مشاركتها بعض قدراتها الخارقة في ذات الوقت الذي تظن فيه أنك تفقد أوراقك التي تكسب بها رمية نرد رابحة...رمية النرد الرابحة التي دومًا تعتمد على حظ لا تتحكم به...

هذا ما أدركه مع الوقت (منجي رشاد) عشية عيد ميلاده... رحل أولاده الثلاثة وزوجاتهم وأحفاده الخمسة تاركين خلفهم ما تبقى من قالب الكيك (العملاق) في ثلاجته...نظر لابتسامة زوجته المليئة بالحياة في صورتها...تخيل أنها تطلب قطعة من الكيك بدلالها البكر الذي طالما أغراه بتكرار اقتحامه حتى آخر حياتها...ولأنه عيد ميلاده الأول الذي يقضيه بعد رحيلها كان على يقين أنها ستزوره...قبل أن ينام كالعادة أودع تفاصيل يومه في دفتر اليوميات...ثم استسلم لسبات عميق...

في الصباح مر به خاطر غريب...صار يحفظ حركة أيامه... الحياة تكرر نفسها حين نكبر بحيث يقل اندهاشنا منها ومن ثم انجذابنا لها...الدهشة سر من أسرار السعادة القوية...سيكتب

مذكرات اليوم القادم...واستمر على هذا النحو لأسبوع كامل... ولم يدهشه طبعًا أنه ينجح في توقع الأحداث بتفاصيلها الدقيقة أحيانًا...فهي من وجهة نظره مجرد أحداث متكررة تشبه أخرى مرت به ذات يوم...حتى التقى بصديقه (عماد شكري) صباحًا في مقهاه الذي اعتاد قراءة الجريدة بصحبة قهوته...سأله عماد:

- (ميدو) بائع الجرائد لم يترك أحدًا إلا وأخبره أنك تعرف المستقبل...هل هذا صحيح؟

- ما هذا الكلام الغريب! أنت أضحكتني كما لم أضحك منذ عام كامل ...

- يقول أنك تخبره بأخبار الزبائن وتحذره من بعض الحوادث البسيطة التي كان من شأنها أن تعرضه لإصابات كبيرة...

- حدث فعلاً...لكن الأمر يعتمد على خبرتي بالأشخاص... أنا أعرف كيف يفكرون وأحفظ كيف يتحركون وليس صعبًا أن أتوقع كيف سيتصرفون...

- اسمح لي...أنت تهدر قيمة نفسك...

- ستجعلني أضحك ثانية...خذ مثالاً على ذلك...زوجتك

ستخبرك خبرًا سعيدًا اليوم أو آخر الأسبوع...يبدو ذلك في كثير من تصرفاتها...

- لنر...وقهوتك طوال الأسبوع القادم مدفوعة من جيبي لو حدث...

كان يعبث بإلقاء توقعاته...لم يتوقع أبدًا أن الأمر أكبر من لعبة...تطور الأمر وزاد زواره ممن يعرفهم جيدًا ويجيد قراءة حركة حياتهم لفترة قصيرة قادمة بناء على حسابات واقعية لشخصياتهم وطرق تفاعلهم مع الحياة...وكان ينجح في معظم المرات حتى ترسخت فكرة قوة سيطرته على المستقبل لدى معظم من يجربونه...عندما يستعصي عليه الأمر يخرج دفتر مذكراته الصغير من جيبه ويبدأ في الكتابة على طريقته القديمة في كتابة تفاصيل أيامه...وتتسلسل الأحداث منطقيًّا وصولاً لنهايات يحدث معظمها حقًّا لكن في المستقبل...

بعد قهوة صباح أحد الأيام مر به ابنا أحد أصدقائه...جلسا معه لفترة...هاله ما قرأ في ملامح وجهيهما وفي دفتر مذكراته حين شرع في الكتابة بعد رحيلهما...في المساء علم أن أحدهما سرق مبلغًا كبيرًا من الآخر...ولم يستطع أن يخبر أبويهما أو أي من ذويهما عن شيء...كان خائفًا فعلاً من قدرته على معرفة الشر بهذه الدرجة...وتكرر الأمر في حوادث ضرب وخيانة...حاول إقناع الآخرين أنه فقد موهبته وبدأ في الكذب عليهم...يحدثهم

بغير ما يرى ولكنهم يلوون عنق الحقائق ويخبرونه أن الأمور حدثت كما يرى لكنها كانت أكبر من فهمهم...

بدأ يضيق بالأمور...رفض ممارسة الأمر ثانية...خسر نصف أصدقائه ممن شعروا أنه تخلى عنهم في أمور مصيرية... حتى عادت ابنة عمه (سلوى رشاد) من (لندن) عادت بولديها المراهقين حتى يشربا تقاليد شرقية أصيلة...خافت أن ينسيا لأي أرض ينتميان...لم يستطع أن يسكت هذه المرة...حذرها من زوجها...كشف لها خيانته لها مع صديقة مشتركة... ومر الوقت...قرأ حبها له في عينيها...حب قديم اصطدم قبلاً بحاجز خاتم زواجه...لم يره سابقًا لكنه سعيد جدًّا به لاحقًا...

وجد أحد ابنيها ذات صباح دفتر مذكراته...توقف عند صفحة حكى فيها كيف عرض الزواج على أمه...وشَّى به عندها...سألته بقلق:

- هل أحببتك حقًّا أم أني استجبت لأوامر مذكراتك مثل غيري؟

- أنا لا أجيد توقعك...أنتِ اندهاشي الدائم لذا لا أستطيع السيطرة على حبي لك...

ورغم ذلك لم يستطع دفن القلق في قلبه...سؤالها بدا منطقيًا بالنسبة له لاسيما وأن الحب لا يملك أدلة ليظهر بها خارج القلب ... وحتى يصل لدليل يكفي أنه يحبها ولا يتوقف عن رسم الأوقات الجميلة بينهما في دفتر مذكراته...ربما كان المستقبل يصفي حسابات معه لا يعلمها هو...

●●●

فارس وسيدنا الحسين

فارس البقطرى...اسم معروف ليس فقط لدى سكان قريته بل لدى قطاع كبير من القرى المجاورة...بائع الحلوى الذي وقع في المعصية...وعلى الرغم من أن عشر سنوات كانت كفيلة بأن تُنسي الجميع ما هي هذه المعصية إلا أنهم مازالوا يسمونه (فارس العاصي) ثم يختلقون القصص بشأنه معصيته بعد ذلك...صار الأكثر حظًا من حكايات المعاصي...فارس رمز المعصية المطلق حتى لو استحال وجود المعصية المطلقة منطقيًّا...يحظر عليه الخروج من منزله إلا وجلبابه ملطخ ببقعة طين...ينتظره الأطفال على الباب كل صباح...شغلهم الشاغل رشقه بالطين...ولأن الأطفال تترجم كل الأفعال لألعاب فهي تعشق كل ما تفعل حتى لو كان فعلاً يندم عليه معظمهم سرًّا بعد حين...

يشترون منه الحلوى حتى يجدون مبررًا لقصصهم الملفقة بشأنه...أما هو فآثر الصمت والانطواء مادام لن يصدقه أحد... ثلاثيني مقطوع من شجرة...أضعف من أن يترك مكانًا جاء به القدر إليه ولن ينتشله منه سوى القدر...

مر به ثلاث نساء من كبيرات القرية هذا الصباح... اشترين الحلوى...كن يتفاوضن حول سبل الانتقال لزيارة لسيدنا

الحسين...سيوزعن طعامًا حتى يعفو الله عن زوج أكبرهن ويغادره مرض شلَّ قدميه عن الحركة بلا سبب يفهمنه...وجد نفسه يسألها بفضول فجأة:

- لو حملت الحلوى لسيدنا الحسين يمكنني أن أنجو مِمَّ أنا فيه؟

- وهل تساوي نفسك بسيدك زوجي؟

- وهل يفرق سيدنا الحسين بيننا؟

- طبعا لا يفرق...يد الله ممدودة للجميع يا ابني...

لكنها كانت تحدثه باستعلاء حتى أنها قالت جملتها الأخيرة مضطرة بلهجة استياء...كأنها تنكر عليه تكبرًا حقًّا تعرف أنه له...أما فارس فقرر فعلاً شد الرحال لسيدنا الحسين...جمع كل ما يملك من مال وحلوى...

هاله الزحام حول الجامع الكبير وعدد بائعي الحلوى الضخم...وما إن بدأ في توزيع حلواه حتى ضايقوه بشدة بالسباب لأنه ينازعهم في (أكل عيشهم) وجد نفسه في آخر المطاف منزويًا في ركن بعيد ظهر المسجد الكبير...لكنه دخل المسجد وتابع توزيع حلواه على زوار الضريح... طوال الوقت كان يدعو الله...

مر أسبوع...وحلت ليلة ذكر في ساحة المسجد...لم يكن

معتادًا أن يأتي الذاكرون في مثل هذا الوقت الخالي من المناسبات الدينية إلا أنهم جاءوا...ظن في قرارة نفسه أنهم ربما جاءوا طلبًا لقبول توبة أو شفاء مريض مثله ومثل سيدته من القرية...انضم لهم...وزع الحلوى ورابط في الذكر...انهمك في التمايل الجسدي على أغاني المديح النبوي بعنف حتى وقع مغشيًّا عليه...أيقظه آذان الفجر...وكانت سعادته عظيمة حين لم يجد ما بقى من ماله...قبل الحسين قربانه...وعفا الله عنه...كان سارقوه يهنئونه بالتوبة بعد تقاسم الغنائم...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

مولد نائم

بعد عطلة استمرت أسبوعًا كان طبيعيًّا أن يتحول النوم لإغماءة انتابت (على قابيل) يفيق منها بقنبلة الجوع...العمل الكثير ينادي الراحة الكبرى...وحين تكون وحدك في بيت واسع... لابد أن تختار إحدى غرفه لتصبح قلعتك المجهزة بكل ما تحتاج له...من يحتاج للسير والنوم سلطانه!

يعمل هذا الرجل في استقبال الوفود بإحدى المنتجعات السياحية...يعيش بعيدًا عن أهله... يعمل بدوام أكثر من كامل... وحين تأتيه الأجازة ينام...لا يشعر برغبة في فعل أي شيء سوى النوم...لربما أجبره أصدقاؤه على الخروج بعض الوقت لمصاحبة موج البحر الأحمر الهادئ في ملل وغموض...يقولون أن هدوءه خوفًا منه على إزعاج جماله...لكن الهدوء يستفز عشاق النوم... يجعلهم يريدون تجفيف الموجة التي لا تأتي إليهم في أعلى نقطة تستطيعها...

أتته هذه الأجازة بعد موسم حافل...يظن أن هذا هو الصباح ينهي آخر ثلاثة أيام من النوم اللذيذ لا يقطعه سوى الأكل...دقات المنبه ترعبه...قام مفزوعًا على قنبلة صوتية فجرت أحلامه... عاد العمل...حلق شعر ذقنه المهمل لأسبوع...ارتدى ملابس

(Uniform) العمل...نزل بسرعة...فاجأته جارته الجميلة بتحية صباح كالحياة الجميلة...كانت تجمع بعض أزهار القرنفل الداكنة القرمزية...سال جسده نحوها دون سيطرة...اقترب حتى اقتحمه شلال عطرها القوى...لم يزعجه تنافره مع هدوء الصباح...يعلم أنه نداء أنثوي هو المعنى به...لذلك أحب الاقتراب...استخدمت صوتها الناعس لتشكو له من حالة الأرق التي تنتابها منذ ثلاث ليالٍ...في وسط الحديث قدمت له زهرة قرنفل بيدها اليسرى... كل مرة ينسى خاتم الزواج الذي يحرس هذه المرأة منه ويحرسه منها...لكن هذه المرة خرج زوجها غاضبًا يزأر بكلمات لم يتبينها... سمع صوت الشهادتين على لسانه يخترق أغطية فراشه...مازالت الثانية صباحًا...كان يحلم...بقى في عمر الأجازة ست ساعات... وعاد للنوم.

استيقظ على قنبلته الصوتية...حملته سيارته لعمله...فاجأه المدير بخطة جديدة للعمل تطلبت منه أن يعمل طوال فترة الأجازة بينما كان هو نائمًا في العسل...هذا المدير نشيط لكنه شديد الغرور...وشديد الفتك بمن حوله حتى لا يستمر شخص في عمله أكثر من موسم فيصبح اسمًا معروفًا ولو قليلاً...نظر في الخطة...المزيد من الترفيه...المزيد من أنشطة الغطس القريب من السطح...عليه تبليغ الجميع وعلى جميع رؤساء الوحدات الذهاب مع المدير إلا هو فوحدة الاستقبال تحتاجه...وفي ختام

اليوم كان متوقعًا أن يفقد عمله لأنه لم يوزع الخطة كما يجب... صرخ في وجهه: (أنت متآمر لصالح منتجعات تنافسنا وأنا لديَّ معلومات أكيدة) سكب قهوته في وجه المدير الممتلئ ككلب بولدوج غاضب - مع الاحتفاظ بحق الآدمية - فارغى وأزبد ...كان رجال الأمن يحملونه طائرًا على أجنحة الغضب...ومرة أخرى اخترقت الشهادتين أغطية فراشه...مازال في عمر الأجازة أربع ساعات.

عندما استيقظ حقًّا كان يشعر بآلام شديدة في كافة أنحاء جسده...لكنه استطاع أن ينهض...وبينما كان يرتدي ملابسه سمع رنين جرس الباب...صاحبة العمارة العجوز...ملابسها المتصابية تسبقها بصدمة كهرومغناطيسية...كانت تحدثه عن مللها من الوحدة وتدعوه لحفل شاي...هذه المرأة لا تمل أبدًا...ماذا يفعل كي يذكرها بأنها تقدم الإهانة لذاتها قبله...نظر لها بازدراء ثم استأذنها...طلبت منه أن تنتظره كي يوصلها في طريقه...لكنه ادَّعى أن سيارته معطلة... الغريب أن هذه المرأة هي العزباء الوحيدة التي تسمح له بالاقتراب دون خطر... يبحث عن زوجة بلا شك لكنها كابوس بالنسبة له...فجأة فتحت باب الشقة وجعلت تصرخ وتستغيث...وصحا على شهادتين...وصوت قنبلته الصوتية الحقيقي.

لا يدري لماذا فجأة شعر أن لا شيء في حياته يستحق أن يستيقظ فقرر أن ينام...واستمر في النوم حتى فقد القدرة على

السير كما أخبره طبيب المستشفى بعد أربعة أيام...اعتقد أنه كسب حياة جديدة...قال للطبيب: (علينا جميعًا أن نتعلم المشيفي أول حياتنا).

●●●

obeikandl.com

أستاذ بدرجة دونجوان

وفجأة أخرجت كل فتاة مرآة صغيرة من حقيبة يدها وتنهدت في وله...سمعتُ صيحاتهن الحماسية (الأستاذ وصل...آه والله وصل) وانطلقت الأنثى من قمقم أشباه الأنثيات اللواتي كن يملأن القاعة...بدأت ألاحظ ألوان أحمر الشفاه وكأنها لم تكن موجودة قبل لحظات...وانحناءات مميزة في الجلسة تقول بهدوء (لاحظني أرجوك).

ودخلت السكرتيرة قبل الأستاذ...إحباط بالجملة أحاط بالوجوه من طلة هذه الفتاة الجميلة حقًّا...خلفها دخل شخص يعوم في حذائه...شعر أشعث رمادي...نظارة أكبر من وجهه بجميع ملامحه...بدا أنه ما زال عاشقًا لملابس السبعينات...ولهذا الرجل وقفت الفتيات...تصفيق... (الله عليك يا أستاذ).

اندهشت...أي حول بصري أصاب هؤلاء؟ أهذا هو الأستاذ الذي استُهلك للتو من أجله مصروف شهر عائلة ميسورة الحال على أصابع أحمر الشفاه وحدها؟ وبدأ الأستاذ حواره بهدوء عن العلاقات الشائكة بين المرأة والرجل...وجدتُ أن الاستماع إليه ربما كان مجديًا...فرجل كهذا - يستطيع أن يمتلك هذا الكم الكبير من نظرات الإعجاب رغم ما هو عليه - لاشك أن لديه فلسفة يمكن الاستفادة منها...

لـم يتحـدث الرجـل عـن أكثـر ممـا يمكـن أن أدعـوه (تجربتـه الشـخصية) كلمـا ابتعـدت كلمـا ازددن اقترابًا...كلمـا أشـعرتهن بفقـد الاهتمـام اهتتمـن بـك أكثر...كلمـا كنـت الأكثـر اختلافًـا (حتـى لـو كنـت الأكثـر قـذارة) كنـت الأكثـر جاذبيـة...وددت لـو اسـتطعت ألا أصدقه...فهـذه العلاقـات غيـر منطقيـة إطلاقاً...لكـن يبـدو أن الإعجـاب لا يخضـع للمنطـق...

ألـم تعشـق كل السـيدات اللواتـي التقـين ألبـرت أينشـتاين هـذا الرجـل الـذي لـم يكـن يمـت للوسـامة ولا للأناقـة بصلـة علـى مقيـاس أرمانـي؟ حتـى إنـه اشـتهر بجاذبيتـه بـين نسـاء عصره...ألـم يكـن جـورج برناردشـو رجـلاً مـا زالـت النسـاء تبحـث عـن موافقـة ذوقـه حتـى يصلـن للجمـال الآسـر؟ برناردشـو ببسـاطة عـدو المـرأة حتـى أن زوجتـه قالـت ذات مـرة أنـه قبـل الـزواج منهـا بعـد أن أخبرتـه ألا مانـع لديهـا مـن ممارسـة حيـاة الإخـوة بينهمـا حتـى إشـعار آخـر...

إلـى جـواري كان يجلـس شـاب مهجور...وسـيم إلـى درجـة اشـتعال عينيـه في وجهه...وجدتهـا فرصـة ذهبيـة...وبـدأت اسـتخدام وصفـة الأسـتاذ (تجاهليـه يأتـك سـعيًا) وبالفعـل أتانـي سـعيًا...شـكرًا للأسـتاذ...

●●●

رصاصة في العدسة

نظر في المرآة مطولاً كأنه ينظر لنفسه من عدسة كاميرا بزاوية ضيقة وإضاءة خافتة لإضفاء البعد الدرامي...لفت نظره لون عينيه الخضراوين اللتين طالما أحس أنهما لا تصلحان لإبداء غضب أو سعادة بجدة مناسبة...حاول إسدال خصلة من شعره البُنِّي قريبًا من منتصف جبينه...هكذا يمكنه التركيز على شقاوة الخصلة فيختفي جمود اللون الفاتح في عينيه...ولكنه لم يكن راضيًا بعد...أطل على خط كتفيه العريض...وانزعج حين بدت (الكولة الفيكتورية) و (البابيون) صغيرين بالمقارنة بمدى صدره وكتفيه...لكنه حرك الأباجورة قريبًا من منتصف المرآة فبدا اللون الأبيض في منتصف صدره مثالي الحجم مما جعل سواد الجاكيت يخفي الحجم الزائد...لم يكن راضيًا سوى عن طوله الفارع الذي سيسمح له بالتقاط الصور بسهولة...لكنه ما لبث أن أعاد النظر في طوله...فهو (العريس) وليس (المصور) مما سيجعل الأمر صعبًا على أي مصور أن يضبط النسب بين طوله وأطوال معظم الحضور إلا لو كان محترفًا...وهو لا يثق سوى بنفسه في هذا...

أدرك أنه كان شاردًا تمامًا رغم الضجيج الذي كانت تحدثه ضحكات وصيحات أصدقائه الثلاثة خلف مرآته في الغرفة... اقترب منه أحدهم:

- هيييي...أين أنت يا حسن؟ أنت الليلة شهريار واعتبرني «مسرور» جدًّا.

- أنت متأكد أن أبو العلا حضر وجهز كاميراته في القاعة...

- انسى الكاميرا اليوم...أنت تعلم أن كريمة تغار منها «خلي اليوم يعدي على خير»

- هي تغار من «أكل عيشي» لا أعلم كيف تفكر...

- هل أنت متردد في تتمة اليوم؟ لا تقلقني فهذا جنون...

- أنا فقط لست معتادًا أن أكون محور الصورة...أنا أُرَاقِب ولا أُرَاقَب...أنا فقط متوتر جدًّا من عدسة ما لا أعرفها تحاول التقاط صور لحياتي اليوم...كأنها تفضحني فجأة...

- صلِّ على محمد...أنت «كاتب كتابك» اعقل...

حاول الاندماج مع أصدقائه...لكنه طوال الوقت كان يبحث بشكل هيستيري لا إرادي عن عدسة تراقبه وتلتقط له الصور... مرت به ذكريات كثيرة ظن أنه نسيها منذ زمن بعيد...تذكر كيف تسببت صورة التقطها لعروس وهي تأكل قطعة جاتو في طلاقها...ادَّعى زوجها أن الصورة جعلته يراها في بعد جديد لم

يعرفه عنها طوال فترة الخطوبة...وتذكر كيف أن صورة التقطها له أمه وهو طفل يعبث بسب جدته تسببت في خصام دام بينه وبين الجدة لأسبوع وتوتر في العلاقات بينهما لفترة طويلة... وتذكر القلق الذي انتابه حين أرته خطيبته صورتها بدون أي أثر لمساحيق التجميل...بدت مختلفة ده أنه خاف قليلاً مما يختبئ تحت ملابسها...

أمام باب مركز التجميل وقف أمام سيارة كلاسيكية سوداء مزينة بباقتين من الأزهار الوردية والبيضاء...يستبد به القلق حد الدق بكعب حذائه بصوت مسموع على الأرض...هل سيتعرف عليها وحده أم أنها ستكون تلك المرأة الثالثة التي طالما تفاجأ بها ألف عريس أمام عدسته...كان يفضل إهداء صورة الصدمة تلك لكل عريس سرًّا كان يستمتع برؤية ملامح الخوف على وجوههم من ترجمة زوجاتهن لمعاني تلك الملامح المليئة بالدهشة والخوف والحب معًا...تحسس زهرة حمراء ملأها أحدهم بالهرمونات حتى صارت في حجم ثمرة كنتالوب... أقبلت عروس ظنها زوجته... وقدم لها الزهرة...فوجئ بصديقه يشده من يده بعيدًا...لم تكن زوجته...حمد الله أن مصوره «أبو العلا» لم يحضر عملية التسليم والتسلم...وخسر الوردة... حين أطلت زوجته لم يتحرك حتى أكد له صديقه أنها هي...كانت جميلة ومختلفة جدًّا كعادة كل عروس

في ليلة زفافها...وظل صامتًا وباردًا جدًّا طوال الطريق لقاعة الزفاف...

كان يزداد توترًا كلما اقترب من قاعة الزفاف...أحس بكراهية شديدة لأبي العلا...وتوقف عن البحث عن العدسة الخفية التي تراقبه...لم يلفت نظره قلق زوجته ولا ابتسامتها الغائبة... كانت كعروس الماريونت تتحرك كما يحركها الآخرون فقط...فليس هو الزوج الذي رغبت به اليوم...ولم تعلم أن عليها أن تتعامل مع الموقف بحكمة أكبر إلا بعد أن سقط زوجها مغشيًّا عليها حين التقط له أبو العلا أول صورة وهو يخرج من السيارة...

حاولوا إفاقته أكثر من مرة لكنه كان في حالة غريبة ويعاني صعوبة في التنفس...أصر صديقه على زيارة المستشفى...ضحك الطبيب كثيرًا وهو يقول: (هو مصور لديه فوبيا من أن يصوره أحد) لكن زوجته لم تضحك ولم تقبل أن تكون زوجته لأنها لم تقتنع أبدًا أن حسن خاف من الكاميرا فقط...لكنه كان راضيًا جدًّا حين دخل بيته في الصباح ووجد الكاميرا إلى جوار السرير...نام بعمق كما لم ينم من قبل وحلم أنه يتزوج فتاة جميلة تلتقط له هي الصور...كان سعيدًا جدًّا...

●●●

دعوة للوطن من غريب

(حضرات السادة الركاب على متن الأسطول الجوي لشركتنا نعلم سيادتكم أنه تم تأجيل كافة الرحلات لساعتين من الآن لسوء الأحوال الجوية).

أصابها إحباط شديد...فقد اشتاقت جدًّا لرؤية (ميرين) الفتاة ذات الأعوام الثلاثة التي ستسمح لها السلطات الرسمية اليوم بتبنيها أخيرًا بعد صراع طويل...نظرت حولها...في المطار الجميع موجودون...والجميع يفعلون ما جاءوا من أجله فقط... وهي تظن أن السبب الوحيد وراء ذلك أنهم لا يعرفون بعضهم البعض...وعلى الرغم من كل هذا التعايش الذي يمكن أن يحدث في كل الأحداث المختلفة بين أشخاص يجهلون بعضهم البعض منعتها السلطات من تبنِّي ابنة صديقتها في وكالة حماية البيئة لأنها فقط من جنسية لا تطابق جنسية الفتاة...لأنها أجنبية... لكن محامي الوكالة ناضل من أجل روح الأم المتوفاة طويلاً... وستصبح (ميرين) ابنتها المتبناة التي لا يمكنها اصطحابها خارج حدود البلاد التي ولدت فيها اليوم بعد جلسة محكمة...

بالتأكيد كان المطار مزدحمًا...كل هؤلاء لا يملكون خططًا بديلة لقضاء المزيد من الوقت في هذه البلاد...بقي في جيبها بعض

العملات المعدنية المحلية وبضعة دولارات يمكنها استخدام كليهما لشراء حلوى ساخنة تتلاءم مع المطر في خلف الزجاج...ومع البرد خارج حدود سيطرة تكييف الهواء...كرسي خالٍ التقطته بسرعة بعد أن غادره مراهق أشقر أزرق العينين...ولم تتخل عنه رغم النظرة القاتلة الزرقاء كالسم التي وجهها لها بعد أن جلست... أدركت أنها سرقت كنزه...لكنه الآن كنزها...

فتحت الصندوق الكرتوني الأبيض الأنيق الصغير...أطلت رائحة الشكولاتة الرقيقة فوق حلوى الدونات الساخنة...قضمة أول قضمة...ثم رمت حقيبتها الكبيرة – التي استعاضت بها عن حقيبة سفر كبيرة لثلاث ليلات – بين ساقيها...أخرجت من جيب الحقيبة الخارجي صورة لـ (ميرين) قبلتها وشعرت بالحلوى تغير فصيلة دمها...حتى قاطعها صوت رجل يتحدث الإنجليزية:

- سيدة أعمال؟

- تقريبًا...وكالة لحماية البيئة...

- وهل حميتي البيئة...

- أفعل ما أنا مكلفة به...أنا ترس في ماكينة ضخمة...ولو سألت الترس عن دوره لن يستطيع الإجابة إلا بإجابتين (أدور أو لا أدور) وأنا سعيدة لأنني أدور...

- جيد...لكن هذا لا يعني أن العالم يدور معك يا ترس...أنا مثلاً أنتظر منذ عامين حتى أركب هذه الطائرة التي حتى لحظة لقائنا الأخيرة تراوغ الحضور...

- كنت تقضي عقوبة؟

- تقريبًا...

- أي عقوبة؟

- لا يشكل الأمر فارقًا كبيرًا...أنا من مكان يسيطر عليه غير أبنائه...وكنت ممنوعًا من العودة حتى حصلت على فرصة...

- عفوًا نسيت...تفضل دونات...

- لست من هواة السكر أشكرك...

- أي مكان تقصد؟

- في هذا المكان الذي التقينا فيه بالتحديد لا أحب الإجابة على هذا السؤال...ففي كل مرة سافرت فيها استمتعت بالتفكير في احتمالات الذهاب لكل مكان في الأرض لأنني أحمل حنينًا لمكان واحد...هنا فقط شعرت أن ختم جواز السفر يستخدم فقط للخروج من هذا المكان وليس لدخوله...كلنا هنا معًا...

- معك حق...أناضل منذ العام الماضي لتبني فتاة من دولة أخرى...وأنا مسافرة لأجل تحقيق ذلك أخيرًا...

- وهل تشعرين بفرق بينك وبينها؟

- هي تأكل وتبكي وتنام بذات اللغة والطريقة التي آكل وأبكي وأنام بها...لكن لديَّ فضول أن أعرف عنك أكثر...

- رسميًّا طلبت اللجوء للدنمارك منذ عامين لكنني أدركت أنني لم أصبح لاجئًا بقدر ما أصبحت حفنة نهرًا بلا منبع يصب في كل أرض زرتها..وقبل أن أجف حصلت على دعوة للزيارة من شخص يمكنه استقبالي ليومين...أتعلمين لو قدر لي يومًا ما أن أعود سأدعو ابنتك لزيارة وطني...

- وأنا؟

- ستعود هي إليكِ مرة أخرى...العالم صغير جدًّا...لذا لا نراه جميل إلا لو رأيناه صغيرًا...إلا لو رأيناه حقيقيًّا...أنا سعيد بالعودة...

- ما اسمك؟

- صقر...يمكنك أن تنادني بـ (صقر)...

- تشرفت بلقائك يا صقر...

openkandl.com

- أخبري ابنتك أنني سأنتظرها...

- لم تصبح ابنتي حتى الآن...كما أنك ستنتظر طويلاً لأنني ممنوعة من اصطحابها تحت وصايتي خارج بلادها...

- كانت تحتاج لدعوة من شخص يشبهها فقط...وحصلت عليها الآن...

ضج المطار بالحياة فجأة...فقد استأنفت الرحلات نشاطها... دفعتها سيدة سمينة تبدو متوسطية، فسقطت أرضًا...وحين نهضت لم تجد صقرًا وسط الزحام...اتصلت بالمحامي لتطمئن أن تأخيرها لن يجعلها تفوت موعد جلسة المحكمة...كان المحامي غاضبًا جدًّا: (أنتِ لم تراعي فرق التوقيت...جلسة المحكمة انتهت للتو...اتصلت بك كثيرًا لكن لسوء الأحوال الجوية كنت خارج التغطية)...أسقطت حقيبتها وتجمدت في مكانها خوفًا...لم تشعر بعدد كبير من البشر اصطدموا بها في حركة الزحام الاستثنائي في المطار...لكن عاد صوت المحامي من جديد: (معجزة حدثت بكل معنى المعجزة...القاضية حكمت لك بحق التبنِّي الكامل...يمكنك الآن السفر مع ميرين) صرخت من السعادة...وفي داخلها علمت أن ابنتها كانت تنتظر دعوة من غريب كي لا تصبح غريبة...في داخلها علمت أن صقرًا سيرسل لها الدعوة يومًا ما...

obeikandl.com

الهروب من حلم

أصابه أرق شديد بعد أن أنهى قراءة كتاب غريب...حاول البحث عن اسم المؤلف أكثر من مرة لكنه لم يتمكن من قراءته فعلاً...بدا كما لو كان مكتوبًا بلغة لا يجيدها لكن حروفها كانت أنيقة جدًّا...وعلى الرغم من فشله في قراءة الاسم إلا أنه كان يرجع لذلك الاسم مرةً كل ١٥ دقيقة تقريبًا دون جدوى...كل الأشخاص الذين مروا بالكتاب تخيلوا أحلامهم فتحققت...قرر ألا يمتثل لهذا الهراء...أغلق الصفحة الأخيرة ووضع الكتاب إلى جواره في فراشه قريبًا من قلبه... غفا قليلاً...استيقظ فجأة على رنين الهاتف...كانت الساعة تشير للثالثة فجرًا...

- آلو...

- حضرتك الأستاذ مهدي؟

- نعم أنا...

- والدتك خرجت من الغيبوبة منذ دقائق...

انتفض واقفًا حتى أن الهاتف سقط من يده أرضًا...تأكد أنه يعيش المنام الذي رآه منذ دقائق بكل تفاصيله...اقترب من دولاب ملابسه في حذر...خاف أن يجد كل ملابسه مفترشة أرض

الخزانة بعد أن سقط العمود الذي يحملها...كما حلم بذلك... وبالفعل وجدها كذلك...صرخ في فزع...بدل ملابسه على عجل... كان كل ما يريد الآن أن يطمئن على أمه...لا بد أنها ستخرج من المستشفى بعد غد كما أخبروه في رؤياه...استقبلته الممرضة مهنئة...دس في يدها خمسة جنيهات...هرول نحو غرفة أمه... كانت تجلس وعلى وجهها ابتسامة راضية وتشرب عصيرًا باردًا في سلام...مدت يدها نحوه في شوق...عانقها...مر الطبيب بها... أخبره أن أمه التي أفاقت من الغيبوبة بعد أسبوعين يمكنها أن تغادر المستشفى بعد غدٍ لو أرادت...تهللت ملامح وجهها...جذب كرسيًّا وجلس بين يديها...نظر لعينيها الصافيتين...قرر أن يحكي لها... واندهش أنها أيضًا رأت ذات المنام الذي رآه...بل إنها مثله تظن أن هذه الرؤيا سببًا من أسباب عودتها للحياة بشكل مباشر...وعلى الرغم من غرابة الموقف إلا أنهما كانا مطمئنين غير خائفين...قالت:

- أعتقد أنك تعرف شيئًا لا أعرفه.

- أشك في شيء ما...

- ما هو يا بني؟ أنا أيضًا أريد أن أرتاح...أشعر أن شيئًا جميلاً يحدث هنا...أريد تكراره...

- قرأت كتابًا قبل أن أنام الليلة...كل صفحاته تتحدث عن أنك لو تخيلت شيئًا ما بإخلاص وعشت كما لو كان هذا الشيء حدث لك بالفعل فإنه سيحدث...هو يقسم أفكار البشر لمناطق جذب بعضها يجذب الأشياء الجميلة والبعض الآخر يجذب الحزن والتعاسة...أنا آمنت بما أريد وحلمت به من فرط الاستغراق في التخيل...وحتى الآن مازلت أعيش حلمي...

- هل تظن أننا مازلنا نائمين؟

- لا أعتقد، فأنا لا أظن أنني سأحلم بذات الحلم مرتين دون أن أستيقظ...ثم أني لا أريد أن أفقدكِ يا ماما مرة أخرى...

- لو لم أحلم ذات الحلم لضحكت من أمر كتابك...

حاول كلاهما أن ينام مرة أخرى...لكن الفكرة التي حذر منها الكتاب أخافتهما...حذر الكتاب من أن تفكر في شيء وإيمانك مهتز لأنك قد تفقد الشيء أو تجذب إليك نقيضه...ظلا طوال الليل يصارعان اهتزاز الإيمان...لكن النوم غلب مهدي...نام عشر دقائق بعد الشروق...أفاق على صوت أمه وهي توقظه...كان العرق الغزير يغرق كل جزء من جسده في برد يناير...عاد إليها... كانت عيناه زائغتين...قال:

- أنتِ ستخرجين وأنا لن أخرج...إنها الملاريا...

- ماذا تقول؟

- الأعراض بدأت من فترة...لكن الحلم أكد لي أنني مريض بها...

خرج من غرفتها سريعًا خشية أن ينقل لها عدوى...أكد له الطبيب نظريته...واحتجزوه في المستشفى...دفعت الأم للممرضة مائة جنيه فقط كي تذهب لبيته وتحضر الكتاب...أمسكت بالكتاب بين يديها...كانت المقدمة تؤكد أن الكتاب كتب كي تعيش حياة سعيدة وأن تذهب للسعادة بعقلك فتأتيك بقدميها...كل شيء كُتب بوضوح شديد...متى ما خفت من شيء بشدة يتحقق ومتى ما أحببت شيئًا بشدة يتحقق...المهم هو الإيمان...في نهاية الكتاب قال المؤلف: (بعد أن تقرأ الكتاب لا يمكنك أن تعود كما كنت قبل قراءته إلا لو فقدت الذاكرة).

بعد قليل كانت الأم تراقب الممرضة من نافذتها وهي تحرق الكتاب على باب المستشفى... صلَّت ركعتين قبل العصر... استخدمت كل قواها كي تستحضر فقدان الذاكرة...بعد ساعة أصابتها نوبة قلبية قوية فاجأت الطبيب تمامًا لكن دهشته كانت أكبر حين فقد ابنها الذاكرة المرتبطة بأحداث حياته خلال بضعة أيام مضت...

الصفحة | الفهرس

مذكرات رجل ضد القانون:........................... ٧

(١)

يوم الأربعاء الرابع من أبريل ٢٠٠٨م

مدام فينوس

(٢)

يوم الأحد ٢٤ أبريل ٢٠٠٨م :...................... ١٣

قِطَّة على الطريق

تُرَى كيف سأبدو بعد تربية شاربي! :.............. ١٩

(٣)

يوم الأحد ٣٠ أبريل ٢٠٠٨م

سلام ما قبل الحرب

(٤)

يوم الإثنين ١ مايو ٢٠٠٨م :............................ ٢٥

ذات ماضٍ ولد الحاضر

obeikandl.com

(٥)

يوم الإثنين ٦ مايو ٢٠٠٨:..... ٢٩

ابن بدرجة صديق

(٦)

يوم الإثنين ٦ يونيو ٢٠١٤:..... ٣٥

الرجوع إلى القاهرة

نعيـمة و«الكُتبَجِي» :..... ٤١

العاشق الذي يجب أن يموت:..... ٤٥

شباك أُم خميس الماشطة:..... ٤٩

لستُ مجرمًا:..... ٥٥

امرأة تبحث عن إثم:..... ٦٣

وتبقى الأنثى:..... ٦٧

تشيلا:..... ٧١

يا عزيزي كلهن قطط:..... ٧٧

سآكلكِ من فضلك:..... ٨١

obeikandl.com

الفأر ثم الثعلب:..... ٨٥
مذكرات العائلة:..... ٨٩
الأُمَرَا:..... ٩٥
يوميات إكسبرسو:..... ١٠١
جبران والآنسة (لا):..... ١٠٥
الطريق للقمر:..... ١١١
سيدي الحلِّي:..... ١١٧
رجل الأوراق الجميلة:..... ١٢١
حتى يتفتح القرنفل:..... ١٢٥
زوجي العزيز...احترم ما أدفعه:..... ١٢٩
طوق النجاة السري:..... ١٣٥
اتفاقية التانجو:..... ١٤١
(مريم) بيننا:..... ١٤٥
الورقة الرابحة:..... ١٥١
امرأة للحب الأول فقط:..... ١٥٧

obeikandi.com

بالحب وحده أنت غالي عليَّ:..... ١٦١
هويدا:..... ١٦٧
البحث عن ضحية (حنان):..... ١٧١
عفوًا لن أتكلم:..... ١٧٥
تغيير إيقاع:..... ١٧٩
قرارات جينا:..... ١٨٥
لا مكان للعدالة:..... ١٨٩
آيات معكوسة:..... ١٩٥
شجرة ومرآة:..... ١٩٩
البحث عن الكراهية:..... ٢٠٣
حسابات مع المستقبل:..... ٢٠٧
فارس وسيدنا الحسين:..... ٢١١
مولد نائم:..... ٢١٥
أستاذ بدرجة دونجوان:..... ٢١٩
رصاصة في العدسة:..... ٢٢١

obeikandl.com

دعوة للوطن من غريب:..... ٢٢٥

الهروب من حلم:..... ٢٣١

obeikandl.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

obeikandl.com